فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق

مصر ٣٠ رمضان ١٣٣٣ — ١٨ الاسد (س ٢) ١٢٩٤ هـ ش ١٢ أغسطس ١٩١٥

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يفسر بها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

﴿ بحث في التزام النصوص في العبادات ، واعتبار المصالح في المعاملات ﴾

تمهيد في مذهب مالك في ذلك

كان الامام مالك بن أنس من أشد علماء السلف تشديداً في اتباع السنة ، وتدقيقاً في انكار البدع والمحدثات في الدين ، حتى انه أنكر على عبد الرحمن بن مهدي — وناهيك بعلمه وهديه — وضع ردائه في مسجد النبي (ص) من المنبر والصلاة عليه ، لئلا يظن انه مشروع — وأنكر على من استشاره في الاحرام من مسجد الرسول (ص) من عند قبره ونهاه عن ذلك وأمره بالاحرام من الميقات ، فلما ألح الرجل قال له « لا تفعل فاني أخشى عليك الفتنة » فقال الرجل : وأي فتنة في هذا ؟ انما هي أميال أزيدها . قال « وأي فتنة أعظم من أن ترى انك قد سبقت الى

فضيلة قصر عنها رسول الله (ص) ؟ اني سمعت الله يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره[1] ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ومن أجل كلامه رضي الله عنه: من أحدث في هذه الامة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم ان رسول الله (ص) خان الدين — وفي رواية الرسالة — لأن الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا . اه

نقل ذلك العلامة الشاطبي في عدة مواضع من كتاب الاعتصام ، وقال في ص١٢٣ من الجزء الثاني منه في مثل هذا المقام: ولذلك التزم مالك في العبادات عدم الالتفات الى المعاني وان ظهرت لبادي الرأي، وقوفا مع ما فهم من مقصود الشارع فيها من التسليم على ما هي عليه ، فلم يلتفت في ازالة الاخباث ورفع الاحداث الى مطلق النظافة التي اعتبرها غيره حتى اشترط في رفع الاحداث النية ، ولم يقم غير الماء مقامه عنده وان حصلت النظافة حتى يكون بالماء المطلق . وامتنع من إقامة التكبير والتسليم والقراءة بالعربية مقامها في التحريم والتحليل والإجزاء[2] ومنع من اخراج القيم في الزكاة ، واختصر في الكفارات على مراعاة العدد وما أشبه ذلك «ودورانه في ذلك كله على ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب ان تصور — لقلة ذلك في التعبدات وندوره بخلاف قسم العادات الذي هو جار على المعنى المناسب الظاهر للعقول، فانه استرسل فيه استرسال المدل العريق في فهم المعاني المصلحية نعم مع مراعاة مقصود الشارع ان لا يخرج عنه ، ولا يناقض أصلا من أصوله » اه

(أقول) ان العلامة الشاطبي قد حرر بحث البدع وأطال في التنفير عنها والحث على التزام السنة في كتابه (الاعتصام) بما لم يسبق الى مثله — بحسب علمه وعلمنا — سابق ، ولم يلحقه فيه — على ما وصل اليه علمنا — لاحق ، ومن ذلك أنه فرق بين البدع وبين المصالح المرسلة تفرقة واضحة بينة ، وأثبت ان مالكا كان يقول بها على تشدده في نصر السنة ، ومبالغته في مقاومة البدع ، حتى قال أحد بن

(١) أي يخالفونه معرضين عن أمره الديني لا في أمر العادات المباحة ونحوه ضد خالفه الى الشيء (٢) لف ونشر أي لا يصح الاحرام بالصلاة بغير التكبير بالعربية ولا التحلل منها بغير التسليم بالعربية ولا تصح قراءة القرآن بالترجمة ، وهذا مجمع عليه في حق القادر

حنبل فيه : اذا رأيت الرجل يبغض مالكا فاعلم أنه مبتدع . وقال عبد الرحمن بن مهدي : اذا رأيت الحجازي يحب مالك بن أنس فاعلم انه صاحب سنة .

المشهور ان القول بالمصالح المرسلة مذهب مالك وان الجمهور على خلافه ، وليس هذا القول صحيحا على اطلاقه ، فان بعض علماء الاصول جعل القول بها من مسالك العلة للقياس ، فأدخلوه فيما يسمونه المناسبة او المعنى المناسب ، وعدها بعضهم من انواع الاستدلال لا من أصول الاحكام ، فالاكثرون يقولون بها ، ولكن يختلفون في اسمها . قال ابن دقيق العيد : الذي لاشك فيه ان لمالك ترجيحا على غيره من الفقهاء في هذا النوع ، ويليه أحمد بن حنبل . ولا يكاد يخلو غيرهما عن اعتباره في الجملة ، ولكن لهذين ترجيحا في الاستعمال لها على غيرهما ، وقال القرافي : هي عند التحقيق في جميع المذاهب لانهم يقومون ويقعدون بالمناسبة ، ولا يطلبون شاهدا بالاعتبار ، ولا نعني بالمصلحة المرسلة الا ذلك . وقال إمام الحرمين : ذهب الشافعي ومعظم أصحاب أبي حنيفة الى تعلق الاحكام بالمصالح المرسلة بشرط الملاءمة للمصالح المعتبرة المشهود لها بالأصول

وقد قسم علماء الاصول المناسب الى ماعلم اعتبار الشرع له ، وما علم إلغاؤه له ، وما لا يعلم اعتباره ولا إلغاؤه له ، وهو الذي لا يشهد له أصل معين بالاعتبار بل يؤخذ من مقاصد الشرع العامة فيعد من وسائلها ـ وهذا القسم هو الذي يسمونه بالمصالح المرسلة . ذكر ذلك كله الشوكاني في ارشاد الفحول ، وقال : وقد اشتهر انفراد المالكية بالقول به – قال الزركشي : وليس كذلك فان العلماء في جميع المذاهب يكتفون بمطلق المناسبة ، ولا معنى للمصلحة المرسلة الا ذلك . اه

ماحرره الطوفي في مسألة المصالح

(أقول) لم أر في كلام علماء المشارقة من أطنب في بحث المصالح مثل الامام نجم الدين الطوفي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦ — ولا في كلام علماء المغاربة مثل العلامة أبي اسحق ابراهيم الشاطبي الاندلسي المتوفى ٧٩٠

أما الطوفي فانه وفى الموضوع حقه في شرحه لحديث أبي سعيد الخدري في الاربعين النووية « لاضرر ولا ضرار » (رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما

مستندا وماله مرسلا وحسنوه) وقد قال هو وغيره انه يقتضي رعاية المصالح إثباتا ونفيا ، والمفاسد نفيا ثم استدل على المسألة بعدة أدلة من الكتاب والسنة تفصيلية وإجمالية ، وبإجماع ماعدا الجامدين من الظاهرية ، وجعل مدار تعليل الاحكام الشرعية على هذه المسألة ، ودعم ذلك بالاستدلال عليها بالنظر العقلي ، ولم يكتف بهذا حتى جعل رعاية المصلحة مقدمة على النص والاجماع عند التعارض فقال : وإن خالفاها وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما لا بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لهما .

وهذا الذي قرره الطوفي في رعاية المصلحة هو أدق وأوسع من القول بالمصالح المرسلة ، وأدلته أقوى ، وقد صرح هو بذلك فقال :

« واعلم ان هذه الطريقة التي قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب اليه مالك ، بل هي أبلغ من ذلك ، وهي التعويل على النصوص والاجماع في العبادات والمقدرات[1] وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الأحكام . وأما بيان ذلك :

« وانما اعتبرنا المصلحة في المعاملات ونحوها ، دون العبادات وشبهها لأن العبادات حق الشارع خاص به ، ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفا وزمانا ومكانا الا من جهته ، فيأتي به العبد على مارسم له ، ولأن غلام أحدنا لا يعد مطيعا خادما له الا اذا امتثل مارسم سيده وفعل مايعلم انه يرضيه ، فكذلك ههنا . ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع اسخطوا الله عز وجل وضلوا وأضلوا . وهذا بخلاف حقوق المكلفين فان أحكامها سياسية شرعية وضعت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة وعلى تحصيلها المعول

« ولا يقال : ان الشرع أعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته . — لأنا نقول قد قررنا ان المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلنقدمها في تحصيل المصالح .

« ثم ان هذا انما يقال في العبادات التي تخفى مصالحها عن مجاري العقول والعادات . اما مصلحة سياسة المكلفين في حقوقهم فهي معلومة لهم بحكم العادة

(١) المراد بالمقدرات ماقدره النص بقدر معين كالحدود والكفارات

والعقل . فاذا رأينا الشرع متقاعداً عن إقادتها علمنا أنا أحلنا في تحصيلها على رعايتها » اه المراد منه هنا ومن أراد الاطلاع على سياقه برمته فليرجع الى المجلد التاسع من المنار (ص ٧٤٥ — ٧٧٠)

ماحرره الشاطبي في مسألة المصالح

وأما الشاطبي فانه جعل الباب الثامن من كتابه الاعتصام في التفرقة بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان . — فأما الاستحسان فاذا لم يرجع الى قياس صحيح أو إلى رعاية المصالح ودفع المفاسد فليس بشيء . وأما المصالح المرسلة فقد وافق الشاطبي الاصوليين على عدها مما يسمونه المعنى المناسب ، ووضحها بعشرة أمثلة منها :

(١) اتفاق الصحابة على كتابة القرآن في المصحف الذي سمي مجموعها المصحف

(٢) اتفاقهم على حد شارب الخمر ثمانين جلدة — كذا قال —

(٣) قضاء الخلفاء الراشدين بتضمين الصناع وقول علي (رض) في ذلك : لا يصلح الناس الا ذاك

(٤) ما ذهب اليه بعض العلماء من الضرب في التهم ، وما ذهب اليه مالك من السجن في التهم ، مع ان السجن نوع من العذاب

(٥) ماقرره ونقل مثله عن الغزالي وابن العربي من جواز وضع الامام العادل ضرائب وإعانات موقتة عند الضرورة كتكثير الجنود لسد الثغور وحماية الملك ، اذا لم يوجد في بيت المال ما يفي بذلك

(٦) اختلاف العلماء في العقاب على بعض الجنايات بأخذ المال

(٧) الزيادة على سد الرمق اذا توالت ضرورة الاكل من الحرم كالميتة في المجاعات ، أو عم الحرام بلداً أو قطراً في جميع الاموال ، فحينئذ لا ينظر الى أصل المال ، بل يؤخذ من الوجه الشرعي كما لو كان أصله حلالا . هذا ملخص معنى ماذكره ، وعزى القول به الى ابن العربي وأحال في بسطه على الغزالي في الاحياء ، أي في كتاب الحلال والحرام من الجزء الثاني منه

(٨) كل الجماعة بالواحد . قال : والمستند فيه المصلحة المرسلة ، اذ لا نص

على عين المسألة ، ولكنه منقول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو مذهب مالك والشافعي

(٩) إقامة امام للمسلمين (خليفة) غير مجتهد في الشرع اذا فقد المجتهد . قال : « ان العلماء نقلوا الاتفاق على ان الإمامة الكبرى لاتنعقد الا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع ، كما انهم اتفقوا أيضا أو كادوا يتفقون على ان القضاء بين الناس لايحصل الا لمن رقي في [١] رتبة الاجتهاد . وهذا صحيح على الجملة . ولكن اذا فرض خلو الزمان عن مجتهد يظهر بين الناس وافتقروا الى امام يقدمونه [٢] لجريان الاحكام وتسكين ثورة الثائرين والحياطة على دماء المسلمين وأموالهم — فلا بد من اقامة الأمثل ممن ليس بمجتهد »

ثم بين وجه ذلك وصرح بأنه لايتجه الا على فرض خلو الزمان عن مجتهد ، وهذه مسألة فيها بحث ، وقد صرح المحققون بأنه لايجوز خلو الزمان عن مجتهد ، وليس هذا محل بيان هذه المسألة بل هو لا يتسع لتحقيق مسألة المثال المفروضة أيضا

(١٠) بيعة من لم تتوفر فيه شروط الامامة ابتداء أو استدامتها بعد وجود الكفؤ لها كالقرشي المجتهد الخ خوفا من الفتنة وتفرق الكلمة . وقد ذكر من الشواهد على هذا المثال مبايعة ابن عمر ليزيد ولعبد الملك بن مروان على كونهما من أئمة الجور ، وأخذهما الملك بالسيف لا باختيار الامة ، ونهي مالك عن الخروج على أبي جعفر المنصور . وفي هذه المسألة أبحاث من وجوه كثيرة فلا نؤخذ على إطلاقها ، وقد سبق في تفسير آية المحاربين (البغاة) قول وجيز فيها، واشارة الى بعض مسائلها ، منه ان تحريرها لا يمكن الا بمصنف خاص ، ومنه ان الرأي الغالب على الامم في هذا العصر ان المصلحة في الخروج على الملوك المستبدين الجائرين ، كما فعلت الامة العثمانية اذ كونت قوة خرجت بها على سلطانها عبد الحميد فسلبت السلطة منه وخلعته بفتوى من شيخ الاسلام فيها .

ومن دقق النظر في الأمثلة التي أوردها الشاطبي لمسألة المصالح المرسلة تبين له أن بعضها تدل عليه النصوص أو السنة العملية ، ومنها مايدل عليه القياس ، فمن

---

(١) لعل في زائدة (٢) لعل أصله يقيمه

الاول كتابة القرآن في مصحف يجمعه كله . فان تسمية الله تعالى اياه كتابا يدل على وجوب كتابته ، واتخاذ النبي (ص) الكتاب له يكتبون كل مانزل في وقته يدل على ذلك . وسبب عدم جمع النبي (ص) له في المصحف ظاهر لايحتاج الى اطالة الفكرة ، وهو احتمال المزيد في كل سورة مادام حيا . ولا يمكن أن يتصور أحد ولا ان يجد شبهة على كون كتابته في صحف متفرقة هو مطلوب الشارع. وانما تلبث أبو بكر (رض) في الامر أولا على عادة أهل الروية في الامور العظيمة، وناهيك بأوائل الاعمال التي تعرض على أصحاب المناصب العليا في مناصبهم . ومن الثاني حد السكر قيل انه قياس على القذف، وقيل انه تعزير لايجب التزام العدد فيه

والحق الجلي الظاهر أن مسائل المعاملات التي يرجع فيها الى الحكام من قضائية وسياسية وحربية ترجع كلها الى الاصل الذي بينه حديث « لاضرر ولا ضرار » أي رفع الضرر الفردي والمشترك، ومنه أخذت قاعدة دفع المفاسد وحفظ المصالح، مع مراعاة [illegible] ومقاصده ، وكان هذا في أعمال الخلفاء الراشدين المالية والادارية [illegible] جماهير الفقهاء يصرحون دائما بارجاع جميع الاحكام الى القاعدة المذكورة آنفا ، فقواعد العز بن عبد السلام الشافعي المشهود له بالاجتهاد المطلق أكثرها يدور على هذه القاعدة .

وانما فر أكثر علماء الامة من تقرير هذا الاصل تقريرا صريحا مع اعتبارهم كلهم له ـ كما قال الطوفي ـ خوفا من اتخاذ أئمة الجور إياه حجة لاتباع أهوائهم وإرضاء استبدادهم في أموال الناس ودمائهم ، فرأوا ان يتقوا ذلك بارجاع جميع الاحكام الى النصوص ولو بضرب من الاقيسة الخفية ، فجعلوا مسألة المصالح المرسلة من أدق مسالك العلة في القياس ، ولم ينوطوها باجتهاد الامراء والحكام ، وهذا الخوف في محله ولكنه لم يق الامة من أهواء الحكام كما ينبغي ، اذ كان يوجد في عهد كل ظالم من علماء السوء من يمهد له الطريق ولو لبعض مايريد من اتباع الهوى .

والطريقة المثلى لحفظ الحق واقامة ميزان العدل ، رفع قواعد الحكم على الاساس الذي شرعه الله تعالى للمسلمين بقوله (وأمرهم شورى بينهم) وقوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) كما فصلناه في تفسير هذه الآية في

الجزء الخامس من التفسير — لا بانكار أصل المصالح ، ولا بالتضييق في تفريع الاحكام عليها . فاذا نيط ذلك بأولي الامر (أي أهل الحل والعقد) الذين ينصبون الامام (الخليفة) ويكونون أهل شورى له ويكون هو مقيدا بما يقررونه — فحينئذ لايخشى من جعل مراعاة المصالح ذريعة للمفاسد مايخشى منه في حال اقرار كل متغلب على الحكم مع التضييق في مسالك استنباط الاحكام ، الذي جرى عليه جماهير الفقهاء . وانما مثار المفاسد كلها أن يقر على ولاية الامر كل متغلب ، ويرضى بتقليده كل جائر جاهل ، فهذا هو الذي أضاع على المسلمين دينهم ودنياهم

نتيجة ما تقدم

نلخص ماتقدم من المباحث بالنتائج الآتية :

(١) أن المسائل الدينية المحضة وهي العقائد والعبادات تؤخذ من نصوص القرآن وبيان السنة لها بالقول أو العمل على الوجه الذي كان عليه الصدر الأول من الصحابة، فما أجمعوا عليه فلا يجوز لأحد مخالفته وما اختلفوا فيه ينظر في دلالته ويرجح بعضه على بعض ولا يلتفت الى المحدثات ، ولا يجوز بحال من الاحوال احداث عبادة جديدة أو الاتيان بعبادة مأثورة على غير الوجه الذي كان عليه النبي (ص) وجمهور أصحابه (رض) لابقياس ، ولا دعوى اجماع لمن بعدهم ، ولا لمصلحة ، ولا لغير ذلك من العلل والنظريات ، لان الله تعالى قد اكمل الدين أصوله وفروعه بكتابه وبيان رسوله (ص) وأخبرنا ان ما سكت عنه فهو عفو منه سبحانه ، فمن زاد من ذلك شيئا كان مراغما لنص القرآن أو طاعنا في بيان الرسول (ص) أو زاعما أنه أكمل منه علما وعملا بالدين) كما قال الامام مالك لمن أراد الاحرام بالحج من المسجد النبوي وقد تقدم (*

*) اذا قيل إن جمهور العلماء يجيزون الاحرام قبل الميقات خلافا لهذه الرواية عن مالك ولقول البخاري في ترجمة ما رواه في تحديد المواقيت من صحيحه (قلنا) أولا هذا مثال لا يبحث فيه ؛ و— ثانيا — إن دليل الجمهور على هذا ضعيف ومعارض بقوله تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها) وبالتزام النبي (ص) والصحابة الاحرام من الميقات ، وهذه شعائر لايخفى تركها ان وقع ، فمن خالفهم فيها يصدق عليه آية (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) الخ (راجع ص ٤٨٢) وحديث عائشة في مسند أحمد وصحيح مسلم مرفوعا . « من عمل عملا ليس =

وأما الأمور الدنيوية من حلال وحرام وسياسة وقضاء وآداب فهي تنقسم بحسب الادلة الى خمسة أقسام

الاول ـ ما فيه نص صحيح صريح في الحكم وارد مورد التكليف الشرعي العام ، فالواجب أن يعمل بذلك النص ما لم يعارضه ما هو أرجح منه من النصوص الخاصة بموضوعه أو العامة كنفي الحرج ونفي الضرر والضرار ، وكون الضرورات تبيح المحظورات بنص قوله تعالى (الا ما اضطررتم اليه) وفي هذه الحال يجب على أئمة المسلمين تنفيذه ومؤاخذة من تركه

الثاني ـ ما يدل عليه نص صحيح بعمومه أو تعليله أو مفهومه دلالة واضحة

= عليه أمرنا فهو رد » وقد أنكر عثمان على من أحرم من خراسان ، فأما حديث أم سلمة في الاهلال من المسجد الاقصى وقد استدل به لقول الجمهور فهو لا يصح . وما روي في تفسير اتمام الحج والعمرة « أن تحرم من دويرة أهلك » فمعناه أن تنوي الحج منها كما يفسره ما روي عن ابن عباس وغيره من قوله « أن تحرم من دويرة أهلك لا تريد إلا الحج والعمرة ، وتهل من الميقات ، ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى اذا كنت قريبا من مكة قلت لو حججت أو اعتمرت ! وذلك يجزئ ولكن التمام أن تخرج له لا لغيره » ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره . وبهذا تتفق هذه الرواية مع تفسير الجمهور وظواهر النصوص والسنة العملية . والا لكان نسك النبي (ص) من حج وعمر ونسك أصحابه كلهم ناقصا . لأنه لم ينقل ان أحدا منهم لبس ثياب الاحرام من دويرة أهله بالمدينة أو غيرها ، ولو كان هذا هو المراد باتمام الحج والعمرة لما خالفوه الا قليلا لبيان الجواز كما هو شأنهم في سائر الاعمال ، وبهذا نعرف ضعف قول الشوكاني : وقول صاحب المنار « انه لو كان أفضل لما تركه جميع الصحابة » فكلام على غير قانون الاستدلال ، اه : ويقول صاحب المنار المتأخر في تأييد صاحب المنار المتقدم : بل هو على أصح قوانين الاستدلال وهو الجزم بان النبي (ص) وأصحابه كانوا أكمل المؤمنين إيمانا وأتمهم عبادة فلو صح ما ذكر وكان معناه ما ذكر لما تركوه الا قليلا كما ذكرنا ، ولو عملوا به لتوفرت الدواعي على نقله عنهم لانه من الشعائر التي يشاهدها الجم الغفير

أجمع عليها أهل الصدر الاول أو عمل بها جمهورهم ، وعرف شذوذ من خالف منهم فالواجب في هذا عين الواجب فيما قبله بشرطه ، عند من عرفه

الثالث — ماورد فيه نص تكليفي غير صريح ، أو حديث غير واه ولا صحيح ، فاختلف فيه الصحابة أو غيرهم من علماء السلف وأئمة الفقه ان كان مما وقع في زمنهم — فمثل هذا يعمل فيه كل مكلف باجتهاد نفسه ، ويعذر كل من خالفه فيما ظهر له انه الحق فلا يعيبه ولا ينتقده ، كما اختلف السلف في بعض أحكام الطهارة والنجاسة ولم يعب أحدهم مخالفه فيه ولم يمتنع من الصلاة معه لا إماما ولا مقتديا . وكما فهم بعض الصحابة من آية البقرة في الخمر تحريمها وبعضهم عدم تحريمها فعمل كل بما ظهر له ولم يعترض على غيره (كما تقدم في موضعه)

ومثله مايستنبطه بعض العلماء من الكتاب والسنة في كل زمان ، فمن ظهر له ان ذلك من الدين وان كلام الله تعالى أو سنة رسوله (ص) دالة عليه عمل به ، ومن لم يظهر له ذلك فلا يكلف [illegible] وقد نقل عن أشهر المجتهدين من الفقهاء انه لا يجوز لأحد أن يقلدهم وأن يأخذ بشيء من أقوالهم الا اذا عرف مأخذه وظهر له صحة دليله ، وعند ذلك يكون متبعا لما أنزل الله لا لآراء الناس ، فلا يكون مخالفا لقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)

وأما مايتعلق بالامور العامة من هذا القسم كالاحكام القضائية والسياسية فينبغي أن ينظر أولو الامر ويتشاوروا فيه من حيث تصحيح النقل ، ومن حيث طريق الدلالة على الحكم ، فاذا ظهر لهم مايقتضي إلحاقه بأحد الاقسام السابقة ألحقوه به فكان له حكمه ، والا كان كالمسكوت عنه

الرابع — ما ورد فيه نص من الكتاب أو السنة غير وارد مورد التكليف كالاحاديث المتعلقة بالعادات من الاكل والشرب والطب ونحو ذلك ، فالأولى والافضل للمسلم أن يعمل بها ما لم يمنع من ذلك مانع من الشرع أو المصلحة والمنفعة العامة أو الخاصة ، لأن المبالغة في الاتباع حتى في العادات مما يقوي الدين ، ويمكن الرابطة والوحدة بين المسلمين ، ولا ينبغي لحكام المسلمين في مثل هذا ان

يجبروا أحدا على فعله ولا على تركه ، وانما يحسن ان يكونوا قدوة صالحة في مثله

الخامس — ما سكت عنه الشارع فلم يرد عنه فيه ما يقتضي فعلا ولا تركا فهو الذي عفا الله تعالى عنه رحمة منه وتخفيفا على عباده ، فليس لأحد من عباد الله تعالى أن يكلف عبدا من عبيده تعالى فعل شيء أو ترك شيء بغير إذن منه سبحانه، وإن ما امرنا الله تعالى به من طاعة أولي الامر منا خاص بأمر الدنيا ومصالحها ومشروط فيه أن لا يكون في معصية الله تعالى ، كما قال الرسول (ص) فيما رواه الشيخان في الصحيحين وأبو داود والنسائي من حديث علي كرم الله وجهه « لاطاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف » وأما أمر الدين فقد تم وكمل ، وهو تعالى شارع الدين كما قال (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك) وكما قال (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها) والرسول (ص) هو مبلغ الدين كما قال تعالى (إن عليك الا البلاغ) ومبينه كما قال (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) فليس لأولي الامر من الحكام والسلاطين سلطان على أحد في أمر الدين المحض بزيادة على النصوص ولا نقص منها ، ومن ادعى ذلك أو ادعي له فقد جعل شريكا لله تعالى أو اتخذ ربا من دونه (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)

وقد مر تفصيل القول في كل مسألة من هذه المسائل حتى ان فيما أثبتناه هنا تكرارا وإعادة لبعض ماتقدم ، « وفي الاعادة إفادة » كما قيل ، ولا سيما اذا اختلف الاسلوب وتنوع التعبير . ثم قال عز وجل :

---

(١٠٦) مَا جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ، وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ؟

وجه اتصال هذه الآيات بما قبلها أنه سبحانه وتعالى نهى في السياق الذي قبلها عن تحريم ما أحله الله وعن الاعتداء فيه — وان كان التحريم تركا يلتزم بالنذر أو بالحلف باسم الله تنسكا وتعبدا ، لا شرعا يدعى اليه ويعتقد وجوبه افتراء عليه تعالى ــ وبين فيه كفارة الايمان ، وحرم الخمر والميسر والانصاب والازلام ، وصيد البر على المحرم بحج أو عمرة ، وبعد أن نهى عن تحريم ما أحله ، نهى ان يكون المؤمن سببا لتحريم الله تعالى شيئا لم يكن حرمه ، أو شرع حكم يكن شرعه ، بأن يسأل الرسول (ص) عن شيء مما سكت الله عنه عفوا وفضلا ، فيكون الجواب عنه ان ورد تكليفا جديدا ، فناسب بعد هذا ان يبين ضلال أهل الجاهلية فيما حرموه على أنفسهم ، وما شرعوه بها بغير اذن من ربهم ، وما قاد بهم بعضهم بعضا على جهلهم مع بيان بطلان التقليد ، وكونه ينافي العلم والدين ، فقال :

﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ هذه أربعة نعوت لاربعة أنواع من محرمات الانعام التي حرمتها الجاهلية على أنفسها :

(فالبحيرة) فعيلة بمعنى مفعولة وهي الناقة التي يبحرون أذنها أي يشقونها شقا واسعا ، وكانوا يفعلون بها ذلك اذا نتجت خمسة أبطن وكان الخامس أنثى كما روي عن ابن عباس ، وقيل اذا ولدت عشرة أبطن ، يفعلونه ليكون علامة على تحريم أكلها أو ركبها أو الحمل عليها ، وهو مأخوذ من مادة (بحر) وهو في الاصل ــ كما قال الراغب ــ « كل مكان واسع جامع للماء الكثير » ثم اشتقوا منه عدة كلمات فيها معنى السعة .

(والسائبة) الناقة التي تسيب بنذرها لآلهتهم فترعى حيث شاءت ، ولا يحمل عليها شيء ، ولا يجز صوفها ولا يحلب لبنها الا لضيف ، فهي اسم فاعل من قولهم : ساب الفرس ونحوه ، أي ذهب على وجهه حيث شاء ، وساب الماء جرى ، فهو سائب . وقال محمد بن اسحق هي الناقة اذا ولدت عشر اناث ليس بينهن ذكر ، وقال مجاهد : هي من الغنم مثل البحيرة من الابل . وعن أبي روق والسدي : كان الرجل منهم اذا قضيت حاجته سيب من ماله ناقة أو غيرها لطواغيتهم وأوثانهم .

(والوصيلة) الشاة التي تصل انثى بأنثى في النتاج ، وقيل : هي التي وصلت أخاها ،

قال الراغب: وهو أن أحدهم كان اذا ولدت له شاته ذكرا أو انثى قالوا وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها. وعن ابن عباس : هي الشاة اذا نتجت سبعة أبطن فان كان السابع انثى استحيوها وان كان ذكرا أو انثى في بطن واحد استحيوهما وقالوا : وصلته أخته فحرمته علينا

(والحام) اسم فاعل من الحماية ، وهو فحل الضراب أي التلقيح ، قيل اذا أتم ضراب عشرة أبطن قالوا : حمى ظهره . وتركوه لايحملون عليه شيئا . وروي انهم كانوا يجعلون عليه ريش الطواويس تمييزا له . وقد اختلفت الروايات في تفسير هذه الالفاظ كما ترى ، وأقواها ما رواه البخاري ومسلم وغير واحد من رواة التفسير المأثور من سعيد بن المسيب قال :

البحيرة التي يمنع درها للطواغيت ولا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لايحمل عليها شيء . قال : وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار — كان أول من سيب السوائب » قال ابن المسيب : والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الابل ثم تثني بعد بانثى ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احداهما بالاخرى ليس بينهما ذكر ، والحامي فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه (أي تركوه) للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي .

وسيأتي في سورة الانعام بقية ما يتعلق بهذا البحث ومن ابتدعه العرب وغير شريعة ابراهيم صلى الله عليه وسلم

أما معنى الجملة فهو ان الله تعالى لم يشرع لهم تحريم البحائر والسوائب واخواتهما ، أي لم يجعله من أحكام الدين (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بزعمهم أن هذه الاشياء محرمة سواء أسندوا تحريمها الى الله تعالى ابتداء أو ادعاء على سبيل الاستدلال — كما حكى عنهم بقوله (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) أي ولكنه شاء ذلك منا ففعلناه فهو راض به — أم لم يسندوه اليه . أما كون اسناد تحريمه اليه افتراء عليه فظاهر بين ، وأما اسناده اليه ادعاء واستدلالا بالمشيئة فهو افتراء أيضا لان دليله باطل ، فان الله تعالى

لم يمنع الكفار من الكفر والفساق من الفسق ولا أكرههم عليهما بمحض المشيئة والقدرة ، بل جعل لهم اختيار الترجيح في أعمالهم ولم يجعلهم مجبورين عليها ، فعدم اجبارهم على الترك أو الفعل لا يدل على رضائه تعالى بما اختاروه لانفسهم من كفر وفسق ، وأما كونه افتراء عليه في حال السكوت عن اسناده اليه فوجهه أن التحريم والتحليل من شأن رب الناس وإلههم سبحانه فليس لاحد من خلقه ان يحرم عليهم شيئا الا باذنه والتبليغ عنه ، فمن تجرأ على ذلك كان مدعيا بفعله هذا إما الربوبية وإما الإذن من الرب تعالى ، وكلاهما افتراء ، والفعل فيه أبلغ من القول ﴿ وأكثرهم لا يعقلون ﴾ أنهم يفترون على الله الكذب بتحريم ما حرموا على أنفسهم ، وان ذلك من أعمال الكفر به ، بل يظنون ان يتقربوا به اليه ولو بالواسطة ، لأن آلهتهم التي يسيبون باسمها السوائب ويتركون لها ما حرموه على أنفسهم ليست بزعمهم الا وسائط بينهم وبين الله تعالى ، تشفع لهم عنده ، وتقربهم اليه زلفى . وهكذا شأن كل مبتدع في الدين بتحريم طعام [illegible] من العبادات التي لم تؤثر عن الشارع ، يزعم أنه جاء بما يتقرب به الى الله تعالى وينال به رضاه عز وجل ، والحق أن الله تعالى لا يعبد الا بما شرعه على لسان رسوله (ص) فلا عبادة ولا تحريم الا بنص عام أو خاص ، وليس لاحد ان يزيد أو ينقص برأي ولا قياس ، ولذلك قال عز وجل

﴿ واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول — قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ أي واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله تعالى في القرآن من الاحكام المؤيدة بالحجج والبينات ، المبنية على قواعد درء المفاسد وجلب المصالح دون العبث والخرافات ، والى الرسول المبلغ لها ، والمبين لمجملها ، قالوا حسبنا ويكفينا ما وجدنا عليه آباءنا من عقائد وأحكام ، وحلال وحرام ، قال تعالى ردا عليهم ﴿ أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴾ أي أيكفيهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الشرائع الإلهية ، ولا يهتدون سبيلا الى مصالحهم الدينية والدنيوية ؟ وانما يعرف ما يكفي الافراد والامم وما لا يكفي بالعلم الصحيح الذي يميز به بين الحق والباطل ،

والاهتداء الى الاعمال الصالحة والفضائل ، وأين من هذا وذاك ، أولئك الاميون الجهلاء ، الذين يتخبطون في وثنية وخرافات ، ووأد بنات ، وعدوان مستمر ، وقتال مستحر ، وعداوة وبغضاء ، وظلم اليتامى والنساء ، على ما أوتوا من فطنة وذكاء ، وعزيمة ودهاء ، وحزم ومضاء وعزة وإباء ، واستقلال أفكار وآراء ، وغير ذلك من المزايا التي تؤهلهم لان يكونوا هم الائمة الوارثين ، والخلفاء العادلين . لولا تقليد الآباء ؟!

هذه الآية والآية المشابهة لها في سورة البقرة ـ (٢ : ١٦٨ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ـ هما أظهر وأوضح ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات في بطلان التقليد ، ولكن كثيرا من الناس قد ضلوا بالتقليد عن حجة القرآن ، وهدي النبي عليه الصلاة والسلام ، حتى عادوا وهم في حجر الاسلام ، شرا مما كان عليه الجاهلية في حجر الاصنام ،

﴿ فصل في بيان بطلان التقليد وشبهات أهله ﴾

الآيات القرآنية الدالة على بطلان التقليد في الدين كثيرة جدا ، وكذلك الاحاديث النبوية وأقوال علماء السلف الصالحين ، وانما تقررت بدعة التقليد في القرن الرابع أي بعد القرون الثلاثة التي وصفها النبي (ص) بأنها خير القرون ، وشر التقليد ما فرق الامة شيعا وجعل الاختلاف في الدين عندها دينا ، بانتساب كل شيعة وطائفة الى رجل يلتزمون أقواله وأقوال من يدعون اتباعه في كل مسألة وان خالفت نصوص الكتاب والسنة وما كان عليه جمهور الصحابة والتابعين ، هذا مع العلم بأن الله تعالى ذم المتفرقين المختلفين في الدين ، وبرأ رسوله منهم وتوعدهم بالعذاب العظيم ، وأمر بأن يرد ما تنازع فيه المؤمنون الى الله ورسوله لا الى أقوال الناس غير المعصومين ، وجعل وظيفة الكتاب الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وبين أنه لا يحمل على الاختلاف فيه الا البغي والضلال ،

ثم ان كتاب الله تعالى قد أوجب العلم بالدين ، والتقليد ليس بعلم كما ثبت

بالاجماع والعقل ، وطالب بالدليل ولا سيما في القول على الله عز وجل، كقوله تعالى (هل عندكم من سلطان بهذا ؟ أتقولون على الله مالا تعلمون ؟) السلطان البرهان

وقد بينا بطلان التقليد وتناقض أهله في مواضع من التفسير والمنار وانا نذكر هنا ماحرره الامام الشوكاني في مسألة التقليد في الاحكام من كتابه (ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول) — قال رحمه الله تعالى :

(المسئلة الثالثة) اختلفوا في المسائل الشرعية الفرعية هل يجوز التقليد فيها أم لا؟ فذهب جماعة من أهل العلم الى أنه لايجوز مطلقا . قال القرافي : ومذهب مالك وجمهور العلماء وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد . وادعى ابن حزم الاجماع على النهي عن التقليد . قال : ونقل عن مالك انه قال : أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ومالم يوافق فاتركوه . وقال عند موته : وددت أني ضربت بكل مسألة تكلمت فيها برأيي سوطا على أنه لا صبر لي على السياط . قال ابن حزم : فهذا مالك ينهى عن التقليد وكذلك الشافعي وأبو حنيفة . وقد روى المزني عن الشافعي في أول مختصره انه لم يزل ينهى عن تقليده وتقليد غيره . انتهى

وقد ذكرت نصوص الائمة الاربعة المصرحة بالنهي عن التقليد في الرسالة التي سميتها « القول المفيد في حكم التقليد » فلا نطول المقام بذكر ذلك، وبهذا تعلم ان المنع من التقليد ان لم يكن اجماعا فهو مذهب الجمهور. ويؤيد هذا ماسيأتي في المسئلة التي بعد هذه من حكاية الاجماع على عدم جواز تقليد الأموات، وكذلك ماسيأتي من أن عمل المجتهد برأيه انما هو رخصة له عند عدم الدليل ولا يجوز لغيره أن يعمل به بالاجماع . فهذان الاجماعان يجتثان التقليد من أصله فالعجب من كثير من أهل الاصول حيث لم يحكوا هذا القول الا عن بعض المعتزلة . وقابل مذهب القائلين بعدم الجواز بعض الحشوية وقال يجب مطلقا ويحرم النظر، وهؤلاء لم يقنعوا بما هم فيه من الجهل حتى أوجبوه على أنفسهم وعلى غيرهم فان التقليد جهل وليس بعلم

(والمذهب الثالث) التفصيل وهو أنه يجب على العامي ويحرم على المجتهد ، وبهذا قال كثير من أتباع الائمة الاربعة، ولا يخفاك أنه انما يعتبر في الخلاف أقوال

المجتهدين وهؤلاء هم مقلدون فليسوا ممن يعتبر خلافه ، ولا سيما وأئمتهم الاربعة يمنعونهم من تقليدهم وتقليد غيرهم، وقد تعسفوا لحملوا كلام أئمتهم هؤلاء على أنهم أرادوا المجتهدين من الناس لا المقلدين ! فيالله العجب

وأعجب من هذا أن بعض المتأخرين ممن صنف في الاصول نسب هذا القول الى الاكثر، وجعل الحجة لهم الاجماع على عدم الانكار على المقلدين، فان أراد اجماع خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فتلك دعوى باطلة، فانه لا تقليد فيهم البتة ولا عرفوا التقليد ولا سمعوا به، بل كان المقصر منهم يسأل العالم عن المسألة التي تعرض له فيفتيه بالنصوص التي يعرفها من الكتاب والسنة وهذا ليس من التقليد في شيء ، بل هو من باب طلب حكم الله في المسألة والسؤال عن الحجة الشرعية، وقد عرفت في أول هذا الفصل أن التقليد انما هو العمل بالرأي لا بالرواية

وليس المراد بما احتج به الموجبون للتقليد والمجوزون له من قوله سبحانه (فاسألوا أهل الذكر) الا السؤال عن حكم الله في المسألة لا عن آراء الرجال ، هذا على تسليم أنها واردة في عموم السؤال كما زعموا وليس الأمر كذلك بل هي واردة في أمر خاص ، وهو السؤال عن كون أنبياء الله رجالا كما يفيده أول الآية وآخرها حيث قال (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) وان أراد إجماع الائمة الاربعة فقد عرفت انهم قالوا بالمنع من التقليد ولم يزل في عصرهم من ينكر ذلك، وان أراد اجماع من بعدهم فوجود المنكرين لذلك منذ ذلك الوقت الى هذه الغاية معلوم لكل من يعرف أقوال أهل العلم، وقد عرفت مما نقلناه سابقا أن اتباع قول الجمهور اذا لم يكن اجماعا. وان أراد اجماع المقلدين للأئمة الاربعة خاصة فقد عرفت مما قدمنا في مقصد الاجماع أنه لا اعتبار بأقوال المقلدين في شيء ، فضلا عن أن ينعقد بهم اجماع

والحاصل انه لم يأت من جوز التقليد فضلا عمن أوجبه بحجة ينبغي الاشتغال بجوابها قط ، ولم نؤمر برد شرائع الله سبحانه الى آراء الرجال، بل أمرنا بما قاله سبحانه (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) أي كتاب الله وسنة رسوله. وقد كان صلى الله عليه وسلم يأمر من يرسله من أصحابه بالحكم بكتاب الله ، فان لم يجد

فبسنة رسول الله قال لم يجد فيما يظهر له من الرأي كما في حديث معاذ[١]

وأما ما ذكروه من استبعاد أن يفهم المقصرون نصوص الشرع وجعلوا ذلك مسوغا للتقليد فليس الامر كما ذكروه فهنا واسطة بين الاجتهاد والتقليد وهي سؤال الجاهل للعالم عن الشرع فيما يعرض له ، لا عن رأيه البحت، واجتهاده المحض، وعلى هذا كان عمل المقصرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم. ومن لم يسعه ما وسع أهل هذه القرون الثلاثة الذين هم خير قرون هذه الامة على الاطلاق فلا وسع الله عليه.

وقد ذم الله تعالى المقلدين في كتابه العزيز في كثير من [الآيات] (إنا وجدنا آباءنا على أمة) (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) (إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وأمثال هذه الآيات. ومن أراد استيفاء البحث على التمام فليرجع الى الرسالة التي قدمت الاشارة اليها والى المؤلف الذي سميته «أدب الطلب ومنتهى الارب »

وما أحسن ما حكاه الزركشي في البحر عن المزني أنه قال : يقال لمن حكم بالتقليد : هل لك من حجة؟ فإن قال نعم، أبطل التقليد لان الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد ، وإن قال بغير علم قيل له فلم أرقت الدماء وأبحت الفروج والاموال وقد حرم الله ذلك الا بحجة ؟ فان قال أنا أعلم اني أصبت وان لم أعرف الحجة لأن معلمي من كبار العلماء. قيل له تقليد معلم معلمك أولى من تقليد معلمك، لانه لا يقول الا بحجة خفيت عن معلمك، كما لم يقل معلمك الا بحجة خفيت عنك، فان قال «نعم» ترك تقليد معلمه الى تقليد معلم معلمه ثم كذلك حتى ينتهي الى العالم من الصحابة ، فان أبى ذلك نقض قوله ، وقيل له كيف يجوز تقليد من هو أصغر وأقل علما ولا يجوز تقليد من هو أكبر وأغزر علما، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه حذر من زلة العالم، وعن ابن مسعود انه قال لا يقلدن أحدكم

(١) يعني ان الواجب في القضاء الذي يعرض هو النص والا فالاجتهاد لا التقليد. ولا يدل الحديث على الاذن في اجتهاد الرأي في العبادات لأنها لا تثبت الا بالنص ، ولكن قد يحتاج في بعضها الى الاجتهاد في طريقة إيقاعها على الوجه المشروع كالاجتهاد في القبلة، وهو ما يسميه علماء الاصول تحقيق المناط ، وللاتفاق عليه أنكر الغزالي عده من القياس للاتفاق عليه والاختلاف في القياس ، حتى ما يسمى منه تنقيح المناط

دينه رجلا ان آمن آمن وان كفر كفر ، فانه لا أسوة في الشر ، انتهى

(قلت) تتميا لهذا الكلام وعند أن ينتهي الى العالم من الصحابة يقال له هذا الصحابي أخذ علمه من أعلم البشر المرسل من الله تعالى الى عباده ، المعصوم من الخطأ في أقواله وأفعاله فتقليده أولى من تقليد الصحابي الذي لم يصل اليه الا شعبة من شعب علومه ، وليس له من العصمة شيء ، ولم يجعل الله سبحانه قوله ولا فعله ولا اجتهاده حجة على أحد من الناس

(واعلم) أنه لا خلاف في أن رأي المجتهد عند عدم الدليل انما هو رخصة له يجوز له العمل بها عند فقد الدليل ولا يجوز لغيره العمل بها بحال من الاحوال ، ولهذا نهى كبار الأئمة عن تقليدهم وتقليد غيرهم . وقد عرفت حال المقلد انه انما يأخذ بالرأي لا بالرواية ، ويتمسك بمحض الاجتهاد غير مطالب[1] بحجة ، فمن قال ان رأي المجتهد يجوز لغيره التمسك به ويسوغ له أن يعمل به فيما كلفه الله ، فقد جعل هذا المجتهد صاحب شرع [illegible] الله [illegible] لأحد من هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يتمسك كامل ولا مقصر أن يحتج على هذا بحجة قط . واما مجرد الدعاوي والمجازفات في شرع الله تعالى فليست بشيء ، ولو جازت الامور الشرعية بمجرد الدعاوي لادعى من شاء ما شاء ، وقال من شاء بما شاء اهـ

هذا ما قاله الشوكاني — وانا سنعود ان شاء الله تعالى الى هذا البحث في مواضع أخرى فنزيده بيانا وتفصيلا .

---

(١٠٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ . إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

بعد أن بين الله تعالى بطلان التقليد — وهو أن يتبع المرء غيره من الناس في فهمه

(١) كذا في الاصل ولعل صوابه غير مطالب لطرف غير بين والله أعلم

للدين ورأيه فيه بغير علم ولا حجة — أمر المؤمنين بصيغة الاغراء بأن يهتموا باصلاح انفسهم بالعلم الصحيح والعمل الصالح الذي يمد رشدا وهدى ، وبين لهم أنهم اذا أصلحوا انفسهم وقاموا بما اوجب الله عليهم من علم وعمل فلا يضرهم من ضل من الناس عن محجة العلم بالجهل والتقليد ، وعن صراط العمل الصالح بالفسق والافساد في الارض ، فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ﴾ أي الزموا اصلاح أنفسكم ، وتزكيتها بما شرعه الله لكم ، لا يضركم ضلال غيركم اذا اهتديتم ، اذ لا تزر وازرة وزر أخرى . ومن أصول الهداية الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فاذاً لا تكونون مهتدين الا اذا بلغتم دعوة الحق والخير وعلمتم الجاهلين ما اعطاكم الله من العلم والدين ، وامرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ، فلا تكتموا الحق والعلم كما كتمه من كان قبلكم ، فلعنهم الله على لسان انبيائهم ولسان نبيكم ﴿ الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أي اليه وحده رجوعكم ورجوع من ضل عما اهتديتم اليه فينبئكم عند الحساب بما كنتم تعملون في الدنيا ويجزيكم به .

وقد اختلفت الرواية عن الصحابة والتابعين في هذه الآية

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : قال الامام أحمد رحمه الله : حدثنا هاشم ابن القاسم ، حدثنا زهير يعني ابن معاوية ، حدثنا اسماعيل بن أبي خالد ، حدثنا قيس ، قال قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) — الى آخر الآية — وانكم تضعونها على غير موضعها ، واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس اذا رأوا المنكر ولم يغيروه[1] يوشك ان الله عز وجل أن يعمهم بعقابه »[2] قال وسمعت أبا بكر يقول : يا أيها الناس اياكم والكذب

(١) في الاصل المطبوع « ولا يغيرونه »

(٢) الرواية المشهورة في كتب المسانيد والسنن « اذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك ان يعمهم الله بعقاب » وتفسير ابن كثير المطبوع كثير الغلط

فإن الكذب مجانب الايمان . وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن اسماعيل بن خالد به متصلا مرفوعا، ومنهم من رواه عنه به موقوفا على الصديق، وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره، وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولا في مسند الصديق رضي الله عنه

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا عتبة بن أبي حكيم، حدثنا عمرو بن حارثة اللخمي عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له ماتصنع في هذه الآية؟ قال أية آية؟ قلت قول الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام ، فان من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم » قال عبد الله بن المبارك وزاد غير عتبة قيل يارسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم؟ قال « لا بل أجر خمسين منكم » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح ، وكذا رواه أبو داود من طريق ابن المبارك ، ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي حكيم

وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحسن رضي الله عنه سأله رجل عن قول الله (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ، ولكنه قد يوشك أن يأتي زمانها تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا ، أو قال فلا يقبل منكم ، فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل

ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن ابن مسعود في قوله (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) الآية ، قال كانوا عند عبد الله بن مسعود فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما الى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال آخر الى جنبه عليك بنفسك ، فان الله يقول (عليكم

أنفسكم) الآية ، قال قسمها ابن مسعود فقال : مه لم يجئ تأويل هذه بعد ، ان القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آي قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ، ومنه آي يقع تأويلهن يوم الحساب ، ما ذكر من الحساب والجنة والنار ، فادامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فامروا وانهوا ، واذا اختلفت القلوب والاهواء ، وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه . وعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية، رواه ابن جرير

وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا شبابة بن سوار حدثنا الربيع بن صبيح عن سفيان بن عقال قال قيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله قال (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لأصحابي، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ألا ليبلغ الشاهد الغائب» فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب، ولكن هذه الآية لاقوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم

وقال أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالا حدثنا عوف عن سوار بن منبه قال كنت عند ابن عمر اذ أتاه رجل جليد في العين شديد اللسان فقال يا أبا عبد الرحمن نفر ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه ، وكلهم مجتهد لا يألو ، وكلهم بغيض اليه أن يأتي دناءة الا الخير ، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك . فقال رجل من القوم وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك ؟ فقال الرجل اني لست اياك أسأل انما أسأل الشيخ . فأعاد على عبد الله الحديث ، فقال عبد الله : لعلك ترى لا أبا لك أني سآمرك أن تذهب فتقتلهم ! عظهم وانههم فان عصوك فعليك بنفسك فان الله عز وجل يقول (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) الآية

وقال أيضا حدثني أحمد بن المقدام حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا قتادة عن أبي مازن قال انطلقت على عهد عثمان الى المدينة فاذا قوم جلوس فقرأ

أحدهم هذه الآية (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) فقال أكثرهم لم يجئ تأويل هذه اليوم.

وقال حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا ابن فضالة عن معاوية بن صالح عن جبير بن نفير قال كنت في حلقة فيها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واني لأصغر القوم فتذاكروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت انا أليس الله يقول في كتابه (يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فأقبلوا علي بلسان واحد وقالوا تنزع آية من القرآن لاتعرفها ولا تدري ما تأويلها؟ فتمنيت أني لم اكن تكلمت . وأقبلوا يتحدثون، فلما حضر قيامهم قالوا انك غلام حديث السن، وانك نزعت آية ولا تدري ماهي، وعسى ان تدرك ذلك الزمان : اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل اذا اهتديت

وقال ابن جرير حدثنا [illegible] حدثنا [illegible] بن ربيعة قال تلا الحسن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال الحسن الحمد لله بها ، والحمد لله عليها . ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي الا والى جنبه منافق يكره عمله . وقال سعيد بن المسيب : اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل اذا اهتديت . رواه ابن جرير وكذا روى من طريق سفيان الثوري عن أبي العميس عن ابي البختري عن حذيفة مثله، وكذا قال غير واحد من السلف

وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن كعب في قوله (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال اذا هدمت كنيسة مسجد دمشق فجعلت مسجدا[1] وظهر لبس العصب فحينئذ تأويل هذه الآية اه

(١) كنيسة مسجد دمشق هي الكنيسة التي كانت ملاصقة للمسجد، وسبب ذلك ان شطرا من مدينة دمشق فتح صلحا والشطر الآخر فتح عنوة والتقى الفريقان من الصحابة في كنيسة مريم ثم اتفقوا على أن لكل شطر حكمه وبذلك كان شطر الكنيسة للمسلمين =

أقول علم من هذه الروايات أن السلف اتفقوا على ان المؤمن لا يكون مهتديا بمجرد إصلاحه لنفسه اذا لم يهتم باصلاح غيره ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويفهم منه ان هذا فرض لازم دائم ، ولكن بعضهم يقول ان فريضة الامر والنهي تسقط اذا فسد الناس فسادا لايرجى معه تأثير الوعظ والارشاد ، أو فسادا يخشى ان يفضي الى إيذاء الواعظ المرشد . وقد رجح ابن جرير وغيره من المحققين القول الاول لقوة روايته ، وسائر أدلته ، والتحقيق ان من علم أو ظن ظنا قويا انه يناله أذى اذا أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر يسقط عنه الفرض ، ويكون الامر والنهي حينئذ فضيلة لا فريضة ، اذا رجح ان المنكر يزول بانكاره ، فاذا رجح انه يؤذى ولا يترتب على نصحه فائدة . فحينئذ يكره له أو يحرم عليه اذا كان من الالقاء باليد الى التهلكة ، وقد فصل القول في ذلك أبو حامد الغزالي في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاحياء فليراجعه من شاء

ومن فوائد هذه الروايات [illegible] بعض [illegible] الصحابة (رض) بأن في القرآن أحكاما لا يظهر تأويلها الا بعد عصر التنزيل [illegible] الاحكام في ذلك كآيات الاخبار بالغيب ، وكثيرا ما نبين في تفسيرنا ما يظهر تأويله في عصرنا ، كن بين من قبلنا ما ظهر لهم من المعاني المتعلقة بعصورهم ، ولا غرو فقد وصف القرآن في الآثار بأنه لا تنتهي عجائبه

= فاتخذوه مسجدا و بقي الشطر الآخر كنيسة فكان عنوانا على عدل الاسلام ، وقد كان المسلمون يدلون للنصارى الكرائم والنفائس في كنيستهم فلا يقبلون حتى أكرههم بعض الأمويين على ذلك ثم ردها لهم عمر بن عبد العزيز . والمراد من الرواية ان المسلمين انما فسد أمرهم حتى ظلموا أهل الذمة بمثل أخذ كنيستهم الملاصقة للمسجد و ت[illegible]هم في الزينة بلبس العصب فعند ذلك لا ينفع فيهم وعظ واعظ . والعصب الشح ضرب من برود اليمن لا يجمع وانما يقال العصب ، و برد عصب وبرود عصب ، بالاضافة . قال في لسان العرب : وفي الحديث « المعتدة لا تلبس المصبغة الا ثوب عصب » العصب برود يمنية يعصب غزلها — أي يجمع و يشد — ثم يصبغ و ينسج فيأتي موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . وقيل هي برود مخططة ، والعصب الفتل . والعصاب الغزال ، فيكون النهي للمعتدة عما صبغ بعد النسج . وفي حديث عمر رضي الله عنه انه اراد ان ينهى عن عصب اليمن وقال : نبئت انه يصبغ بالبول ، ثم قال : نهينا عن التعمق اه

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان (*)

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد
الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أنعم علينا بالاسلام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي قام بتبليغ الدين خير قيام

أما بعد فان الصلاة والزكاة أتم أركان الدين ، وأعظم الشعائر للمسلمين ، بهما تزكية النفوس ، وصلاح حال الجمهور

جمع الله تعالى كل الخير فيهما ، لأن من اتصف بهما يتصف بكل فضيلة سواهما

فمن تركهما فلا حظ له في الاسلام ولا الايمان ، فهلم اسمع في ذلك نصوص القرآن

(*) المنار : قرأنا هذه الرسالة كلها ، وانتقدنا على كاتبها مسائل منها ، و بينا له رأينا في تصحيحها واصلاحها ، قولا وكتابة ، على أن يكون مستقلا في ذلك ، يأخذ ما يأخذ ويترك ما يترك عن بينة ، كما هو شأننا مع تلاميذنا ومريدينا ، لأجل هذا نشير في حواشي الرسالة الى المهم مما بقي من خطإ أو ضعف فيها

ولا قدم لك تعريف الصلاة والزكاة ، ومقصود الشارع الحكيم منهما ، على طريق السؤال والجواب ، عسى أن تأنس به ، وترتاح نفسك الى تدبره ، فارع سمعك ، واستعمل عقلك

س ما حقيقة الصلاة ؟

ج هي مناجاة الله تعالى وذكره ودعاؤه والخضوع له بالصفة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم

س لم جُعلت الصلاة بالكيفية المخصوصة ، ولم تترك لاختيار المؤمنين ؟

ج لئلا يتشعب الخلاف بين الناس فيها ، فيفوت غرض الدين من اتحادهم عليها ، المساعد لهم على الاتحاد في غيرها

فالناس كلما كثر ما يشتركون فيه كان اتحادهم عليه أقوى ، وانجذابهم بعضهم الى بعض أقرب وأمتن

س ما دليل وجوبها ، وحكمة مشروعيتها ؟

ج قال الله تعالى في سورة العنكبوت (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

س كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟

ج أنظر الى نفسك حين تواجه القبلة وتتهيأ لاقامة الصلاة ، فتستفتحها بقولك : الله أكبر ، ألا تراك ملئت خشية لذكرك ربك وكبرياءه ، وغشيتك السكينة لوقوفك بين يدي سيدك ، مستصغرا كل شيء دونه ، وغاضا الطرف عما سواه

فاذا قرأت الفاتحة ذكرتك معانيها بالملك الذي خلقك بقدرته ، وربك الذي رباك على نعمه - ربك لا ليستبد بك ، ولا لينتفع منك ، بل

ليجعلك موضع رحمته ، وعل فضله واحسانه ، وهناك ترى سيداً عظيماً ، ومالكا للجزاء وحيداً ، جميع الكون في قبضة يده ، وكل العالم تحت تصرفه وقهره ، لا ارادة فوق ارادته ، ولا ينفع أحد أحدا عنده ، فبينما أنت ترجو رحمته ، اذا بك تخاف عذابه ، قوته فوق الاسباب ، فلا تجد ملجأ الا اليه ، ولا تستعين الا به ، فهو الذي يهديك طريقه المستقيم ، ويأخذ بيدك فيه ، ما دمت فيه ، مرافقا لاهله الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، بعيدا عن طرق للعاندين والحيارين ، المغضوب عليهم والضالين ، أضف الى ذلك ما في ركوعك وسجودك ، وقيامك طوع أمره وقعودك ، كل هذا يا مقيم الصلاة يؤثر فيك تأثيرا ، ويأخذ منك مأخذا يكون [illegible] أن تتولد فيك ملكة المراقبة لله ، تثبتك على صراطه ، وتمنعك الوقوع في عصيانه ؛ فاذا مسك طائف من الشيطان ، أو دعاك داع من الشهوة الى العصيان ، ناداك صوت من ضميرك : اذكر ربك واتقه ، واحذر أن يراك حيث نهاك ! فاذا انت من المبصرين

س يظهر من هذا أن المرء اذا حافظ على اقامة الصلاة تصفو نفسه ، وتحسن أخلاقه ؟

ج من غير شك ، وذلك هو مقصود الدين من تكرار الصلاة كل يوم خمس مرات ، وتدبر القرآن فيها

وقد علمت أن الله لم يسقطها عن المؤمنين وهم في مقاتلة أعدائهم ، ولا عن المرضى وهم في مرض موتهم ، وما ذلك الا لحاجتهم اليها ، وعدم استغنائهم عنها ، فانها تشجعهم ، وتجعلهم اكثر تحملا للمشاق ، واقوى صبرا على الشدائد ، واقرب الى الرجاء ، وأبعد عن اليأس

س صلينا كثيرا فلماذا لم تنهنا صلاتنا عما نحن فيه من المنكرات ؟

ج سبب ذلك أننا لم نلاحظ المقصود منها ، فقفنا عن التدبر والخشوع فيها ، فما لنا من الصلاة الآن الا اسمها ، وليس في مساجدنا منها الا صورتها ورسمها

وان شئت فقل : انها أصبحت عندنا عادة من العادات ، التي يقلد فيها الولد اباه وغيره ممن ينشأ فيهم

وقد وصل الجهل بناس الى أن يتركوا الصلاة طول حياتهم ، اعتمادا على أنه يمكن اسقاطها عنهم بعد مماتهم بالطريقة المشهورة باسقاط الصلاة — ذلك بأن يؤتى بمن يسمونهم فقهاء ، وهم قراء القبور ، الذين اتخذوا القراءة على القبور والصياح في الجنازات بنشيد البردة وغيرها صناعة فيحسبوا ما ترك الميت من الصلوات في سني عمره ، ثم يطاف عليهم بصرة فيها عدد من النقود ، فيقبل كل منهم أن يتحمل عددا من تلك الصلوات عن الميت نظير مبلغ يأخذه مما في الصرة ، حتى اذا تحمل الجميع ما على الميت من الصلوات ، فرق عليهم عدد النقود ، وبهذا يزعمون أن الصلاة سقطت عن الميت ، وان الله عفا عمن تحملوها

وفي هذا من العجب ما ترى ، وقد ذكرته ليظهر لك كيف يؤدي الجهل بحكمة الله الى اضاعة شرعه والاستهزاء بدينه ، وكأن هؤلاء لم يعقلوا أن تارك الصلاة قد صدئت نفسه ، وتلوثت روحه ، فلم يعد يستحق مقام الكرامة ، و (أن لا تزر وازرة وزر أخرى ° وأن ليس للإنسان الا ما سعى) فهل للقبوريين عهد من الله أن يقبل منهم ما يقبلون ، ويحط عنهم ما يتحملون ؟ فرحماك اللهم ! فان القوم لا يعلمون ، وعسام عن ذلك يرجعون

س عرفنا الصلاة : فما معنى الزكاة ؟

ج الزكاة جزء من مال الاغنياء ، يصرف في مصالح المسلمين ، كالفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل والغارمين ، وغير ذلك من مهمات الدين .

س ما دليل وجوبها ، وحكمة شرعيتها ؟

ج قال الله تعالى في سورة براءة (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)

س ما معنى التطهير والتزكية بها ؟

ج (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فكلما كثر جمعه للمال ، زاد حبه له ، وطمعه فيه ، حتى لا يؤثر شيئا عليه ، ولا يكون له هم في سواه ، فتتقطع العلائق بينه وبين الله وتنحط نفسه ، فيكسب المال من أي وجه حلالا كان أو حراما ، واذا هو جعل نصيبا من ماله لله على حبه إياه ، استحى أن يكسبه من طريق يبغضه الله ، وكان حب الله في نفسه متغلبا على حب المال ، فهذا ينظف النفس من الأرجاس العالقة بها ، ويزكيها بإنماء الفضائل فيها

وهذه تزكية روحية ، وهناك تزكية أدبية اجتماعية — وهي أن الاغنياء الذين يقبضون أيديهم عن الفقراء يعرضون أموالهم للسلب ، وأعراضهم وأنفسهم للإهانة ، لأن الفقراء يبغضونهم ، ويكيدون لهم ، واذا اشتد الجوع بهم ولم يجدوا وسيلة لسد الرمق الا بالاعتداء على الاموال والأنفس اعتدوا ، ولا يخفى ما في ذلك من اختلال الأمن وتزعزع النظام ، فيمسي الاغنياء ويصبحون لا يهدأ لهم بال ، ولا يرتاح لهم ضمير ، فيموتون أو يموت الفقراء جوعا وذلا ، وكل ذلك — كما تعلم —

سبب في ضعف الامة وانقراضها ، فاذا هم بذلوا وأنفقوا حفظوا حياتهم ، وهذبوا روعهم ، وجعلوا الفقراء إخوانهم ، يهتمون لهم ، ويتعاونون معهم ، فيبسط أيديهم يتبدل ضعفهم قوة ، وتنقلب قلتهم كثرة ، أضف الى ذلك ما يتوفر للامة فيصرف في منافعها العامة ، ومصالحها المدنية ، وما يعود عليها من بسط الامن في ربوعها ، وتوثيق عُرى المحبة بين أفرادها . وحسبك دليلا على ذلك أن المسلمين لما تهاونوا في إخراج الزكاة انحلت رابطتهم ، وتأخرت مدنيتهم

س اذا كان في الزكاة ما ذكرت من رابطة الود بين الافراد ، ومن مصالح جماعة الامة ، وكانت بذلك من أعظم أركان العمران ، فما بالنا نرى الافرنج وقد [illegible] ولا [illegible] زكاة مثلنا؟

ج لعلك لم تنظر الى ما عندهم من الجمعيات الخيرية ، والملاجئ والمستشفيات المجانية ، وغير ذلك مما يقصد به تحسين حال الايتام والفقراء ، وغير ذلك من المنافع والمصالح ، وهل هذا الا بمعنى الزكاة عندنا؟ وهل تقوم لامة قائمة من غير أن يكون فيها هذا الركن الاقتصادي العمراني الجليل؟

ألا تعجب حينما ترى الافرنج يعرفون قيمة هذا الركن ، وقومنا عنه غافلون؟ ألا يزيد عجبك عند ما تسمع مقلدة الفقهاء يعلمون الناس إسقاط فرضية الزكاة بما يوحي اليهم الشياطين من الحيل؟ ولعلك شاهدت كثيرا ممن تجب عليهم زكاة المال ، يأتي قبل الحول الذي تجب بحلوله الزكاة فيتنازل لامرأته عن ماله ، ثم بعد أن يفوت الحول يستوهبها إياه ، ويزعم أنه بذلك قد خرج عن دائرة المالكين فلم يكلف ، وأن حيلته صحت عند الله

وأغرب من ذلك أن الرجل يضع زكاة ماله نقودا في داخل كية من الحبوب ، ويأتي بعض المستحقين فيعرض عليه تلك الكمية من الحبوب من غير أن يريه المال المدفون فيها ، فيقول له : هذه زكاة مالي فاقبلها. وبعد قبوله إياها يبتاعها منه بنصف ثمنها فيفرح المسكين، ويرجع المكلف بدفع الزكاة زاعما أنه قد تخلص منها، ولم يعد يسأل عنه

فياحسرة على هؤلاء الذين فضلا عن تضييعهم للشريعة ، وقضائهم على أحكامها ، قد هزئوا بربهم ، وسخروا بخالقهم ، فاكتسبوا جريمتين بعملهم هذا ، إحداهما تضييع دينه ، والاخرى الاحتيال عليه ، (وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يوم يتشاءم الفقراء والمساكين [illegible] بعض المستحقين، يوم يحمى على أموالهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، و يقال لهم : (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

حكم تارك الصلاة والزكاة

س حسبنا ما وقفنا عليه من معنى الصلاة والزكاة ، وما وراءهما من النافع ، وما انطوتا عليه من الحكم. فما حكم تارك الصلاة ، أو مانع الزكاة؟

ج كلاهما معرض عن الاسلام ، هادم لأعظم أركانه ، وقد ذهب جماهير العلماء الى وجوب قتله ان لم يتب — قيل كفرا وقيل عقوبة ، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على قتال مانعي الزكاة . والخلاف في كفر تارك الصلاة أقوى

س كيف يعد تارك عبادة من عبادات الاسلام مرتدا عن الدين، تاركا له ؟

ج لأن الاسلام ليس له معنى الا الانقياد لله تعالى ، فيما يزكي النفوس ، ويصلح الاجتماع ، وذلك انما يتجلى في الصلاة والزكاة — كما علمت — وغيرهما تابع لهما ، بل من أقام الصلاة وحدها ، أقام كل أمر بعدها

س هذا صحيح وفهمناه مما سبق ، فاين الادلة ، على أن تارك الصلاة أو مانع الزكاة خارج عن الملة الاسلامية ؟

ج ذكر الله سبحانه الصلاة والزكاة في أكثر من خمسين موضعا من كتابه ، وكلها يدل على الاهتمام بهما ، وبناء الاسلام عليهما ، غير أننا نكتفي هنا بذكر الصريح من الآيات في موضوعنا فنقول :

ما جاء في الصلاة وحدها

من ذلك قوله تعالى في سورة الروم (فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون ، منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم) الآية ، وفي قراءة « من الذين فارقوا دينهم » فانظر كيف أراك عز شأنه أنه لايعدل عن اقامة الصلاة الا المشركون[1] ولا يتصف بها الا المتقون ، من أقامها صاحب الدين ، ومن لم يقمها فارق الدين ، فهي الصفة المميزة ، والحد الفاصل بين المسلم والمشرك

(لها بقية)

(١) المنار : الآية لاتدل على هذا الحصر ، ولا هو صحيح في نفسه ، ولا تدل على الحصر الذي ذكر بعده وان كان معناه صحيحا

مدرسة

دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٩

الراحة والتعب

النوم والرياضة الجثمانية

النوم — جميع أعضاء الجسم تحتاج الراحة بعد العمل ، ذلك بأن المواد الضرورية لحياتها تقل بسبب العمل ، وتتراكم فيها فضلات الاحتراق ، فبالراحة تجمع من الدم موادا أخرى صالحة لغذائها وتخرج إليه تلك الفضلات المؤذية. وأعظم أنواع الراحة وأشدها نفعا للجسم النوم ، ففيه يبطل عمل المخ الا فيما ندر (كالاحلام) ويقل ورود الدم إليه وتقل مرات التنفس والنبض فتستريح الرئتان والقلب ، وكذلك يقل افراز جميع الاعضاء الاخرى كالبول مثلا وترتخي جميع العضلات ، وبذلك تحصل الراحة لها ولجميع الاعصاب والاعضاء فتتجدد قوى الجسم وينتعش بسببه

قال بعض العلماء ان المخ في أثناء النوم يكون محتقنا بالدم ، ولكن هذا غير صحيح فان الدم انما يكثر وروده الى الاعضاء وقت العمل ، وأما في زمن النوم فيقل الدم من المخ وغيره ويهرب السائل الذي تحت العنكبوتية الى القناة الفقرية

واذا أريد جلب النوم لشخص مصاب بالارق فأحسن طريقة له أن يجتهد الانسان في تحويل الدم عن المخ بأن يترك الشخص التفكير ويصب الماء البارد على دماغه ويغسل جسمه بالماء الساخن أو يضع قدميه فيه أو يتعب نفسه بعمل

المشي وغيره فان ذلك يجذب الدم الى العضلات والاطراف، ولمثل هـذا السبب يميل الشخص الى النوم عادة بعد الاكل بسبب ذهاب الدم الى المعدة

ومدة النوم تختلف بحسب السن ففي الاطفال المولودين حديثا تستغرق اليوم كله تقريبا ؛ وفي الغلمان قد تمتد الى ١٢ ساعة، وفي الفتيان تكون نحو ٩ ساعات، وفي الشبان من ٧ الى ٨ ساعات، وفي الشيوخ تكون من ٥ الى ٦ ساعات. وأحسن وقت للنوم هو الليل بين ذهاب الشفق وطلوع الفجر أي بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر، فان هذا الوقت تكون الظلمة فيه أشد والسكون شاملا للبلاد فلا ينبه المخ بمنبه يقلق راحته. ولا يحتاج الانسان للنوم في النهار الا في زمن الصيف وذلك لقصر الليل وطول النهار واشتداد الحر فيه فيتوارد بسبب ذلك الدم الى الجلد، والذلك يميل الانسان الى التماس في الحر. ويستحسن أيضا أن يكون هذا النوم بعد الظهر في مكان بعيد عن الضوضاء وأن يوجد الانسان فيه ظلمة بقدر الامكان بارخاء ستائره مثلا [illegible]

وفي التبكير في القيام فوائد عظيمة منها فوائد اقتصادية كمزاولة الاعمال المختلفة قبل فوات الوقت بسبب قصر النهار في الشتاء أو فواته بسبب اشتداد الحر في الصيف وعدم تمكن الانسان من العمل، ومنها فوائد صحية أهمها الخروج من المكان الذي بات فيه الانسان الى هواء أصح فينتعش جسمه بشم نسيم السحر. ومن ذلك يجدون أن فرائض الشريعة الاسلامية في الصلاة موافقة لمصالح الناس الاقتصادية والصحية، على فوائدها الروحية التهذيبية

ويجب أن تكون غرفة النوم خالية من الاثاث بقدر الامكان، وأن تكون أرضها خشبية وطلاؤها بالجير فقط، وتكون بعيدة عن الروائح الكريهة وتتخللها الشمس بالنهار وكذلك الهواء ليلا ونهارا. ولا يصح طلاؤها بغير الجير أو نحوه فان المواد الاخرى البيضاء أو ذوات الالوان تشتمل عادة على الرصاص أو الزرنيخ والنحاس، وهذه المواد تنتشر في هواء الغرفة فتسم جسم الانسان وباستمرار استنشاقها تحدث له أعراض قد تكون خطرة، ويجب أيضا أن تكون الغرفة جافة فان استنشاق هواء الغرف الرطبة يؤدي الى اعتلال الصحة حتى قد تصاب الاطفال

بالدفتيريا اذا سكنت في بيوت حديثة البناء حديثة الطلاء ، فيجب اتقاء السكنى في هذه المنازل الا بعد عام جفافها

هذا ولا يخفى أن الهواء الذي يستعمل في التنفس أو في الاحتراق هو أخف لسخونته من الهواء الذي لم يستعمل فلذا يصعد الى أعلى الحجرات . ولذلك كان من الواجب أن تفتح بعض النوافذ بقرب السقف، والتجربة المشهورة المثبتة لصحة هذه النظرية أن يأتي الانسان بشمعة مشتعلة ويمسكها بيده ويقف على باب الغرفة المسكونة ويضعها عند الباب بقرب الارض فيجد أن الشعلة تندفع الى داخل الغرفة بسبب دخول الهواء من هذا المكان، فاذا أمسك الشمعة في أعلى الباب وجد أن الشعلة تندفع الى الخارج بسبب خروج الهواء من الغرفة ، واذا أمسك بها في منتصف الباب وجد أن الشعلة تثبت في مكانها

ومن ذلك يعلم أن الهواء يدور في الغرف ويخرج من أعلاها — كما قلنا — وينبغي أن لاينام الانسان في تيار الهواء النافذة التي يدخل منها فان ذلك يحدث برودة عظيمة في الجسم تؤدي الى بعض الامراض . ويستحسن أن تكون النوافذ التي يدخل منها الهواء أعلى من رأس الانسان أي على علو نحو تسع أقدام، وأن تكون نوافذ التصريف ملاصقة السقف

وينبغي أن لايبقى أحد في غرفة النوم نهارا لئلا يفسد هواؤها، وأن تترك نوافذها مفتحة ليدخل منها الهواء والشمس ، ولا يجوز أن يوضع فيها ليلا أزهار ولا أشجار ، وكذلك لا يجوز أن تكون محاطة بحدائق غناء ، فان النبات من نجم وشجر — وان كان ينقي الهواء في النهار — يتنفس في الليل تنفس الحيوان فيمتص أكسجين الهواء ويفرز ثاني أكسيد الفحم وبذلك يفسد الهواء . ويجب عدم وضع حيوانات في غرفة النوم فانها أيضا تفسد الهواء بتنفسها وقد تنقل الى الانسان بعض الامراض كالقرع والارضة الجلدية فانهما يصيبان القطط والكلاب ، والدفتيريا تصيب القطط كثيرا، وفي بعض الكلاب ديدان تخرج بيضا اذا وصل شيء منها الى بطن الانسان أحدث عنده أكياسا عظيمة في الكبد أو غيره

ومن أوجب الواجبات أن يطفأ السراج وقت النوم كما وصى بذلك رسول

الله (ص) فان النار من أشد ما يفسد الهواء بل قد تقتل الشخص بالاختناق ، على أنها قد تحدث الحريق ، وفي ايقادها اسراف وضرر فان مجرد وجود النور في الغرفة مما يقلق راحة المخ

أما النور الكهربائي الصادر من بعض المصابيح — وهي المغلقة اغلاقا تاما — فانه لايحدث أي إفساد للهواء وهو أيضا أبعد عن إحداث الحريق من سائر أنواع النور الا أن في الاستضاءة به اسرافا كبيرا وهو يقلق راحة النائم أيضا

ومن القواعد الصحية أن لا ينام الانسان الا على الاسرة، وحكمة ذلك أن يكون أبعد عن الرطوبة والاقذار وعن الدواب المؤذية كالعقارب وكذا عن استنشاق الهواء الفاسد ، فان غاز ثاني أكسيد الفحم الذي يتولد من الاحتراق والتنفس هو أثقل من الهواء ولذلك يكثر قرب الارض ، وينبغي أن يحيط بالاسرة ما يسمى عندنا بالناموسية (الكلة) وذلك لمنع البعوض فانه يذهب النوم عن الانسان وقد ينقل اليه الملاريا [illegible] ولا بد أن يكون الفراش نظيفا جدا خاليا من جميع الحشرات لما [illegible]

وللانسان أن ينام على أي جنب شاء بحسب راحته، ولكن التزام جانب واحد قد يؤدي الى ضرر، فاذا التزم الانسان الجانب الايمن مثلا حصل احتقان في أجزاء الجسم اليمنى فتختل الموازنة التي بين جنبيه وتتعب الرئة اليسرى وتكون الجهة اليمنى من الدماغ عرضة للاحتقان وربما أدى ذلك الى الفالج اذا كان الشخص مستعدا له كأن كان كبيرا وشرايينه متصلبة ؛ وكذلك الحال اذا التزم النوم على الجهة اليسرى، فالاحسن ان يتقلب الانسان في الفراش، ولكن يفضل الاكثار من النوم على الجهة اليمنى خصوصا اذا كان في المعدة طعام فان ضغط الكبد والمعدة على الحجاب الحاجز وعلى القلب يعوق حركة التنفس و يضايق الانسان ، و يتعسر أيضا خروج الطعام من المعدة لان البواب في جهتها اليمنى . والنوم على الظهر يسبب الشخير و الاحتلام فالأولى تركه الا قليلا ، ولايجوز النوم على الوجه فإن ذلك يسبب ضغطا على الاحشاء يضر الانسان و يضايقه. ولا بد من وضع الرأس على شيء عال كالمخدة بحيث تكون في محاذاة الجسم لمنع احتقان الدماغ

وكذلك ينبغي للانسان أن لا ينام على طعام كثير فان النوم يعوق حركة الهضم وافراز العصير المعدي وتعب المعدة في وقت يجب أن تستريح فيه جميع الاعضاء، هذا فضلا عن كون ضغط المعدة وهي ممتلئة بالطعام على الحجاب الحاجز يحدث ضيقا يتسبب عنه الكابوس والاحلام المزعجة أو الاستيقاظ فجأة كأن الانسان يخاف من الموت العاجل ولا سيما اذا كان مصابا بالربو (ضيق النفس) أو بمرض في القلب أو الرئتين . والاحسن أن يكون النوم بعد تمام الهضم في المعدة أي بعد نحو أربع ساعات

وينبغي أن يكون الرأس مغطى بغطاء خفيف لمنع توارد الدم بكثرة الى المخ ، ويرى بعض الناس ان الاحسن كشفه . ولا يجوز بحال من الاحوال ان يغطى الوجه . أما الجسم والاقدام فيجب ان تدفأ جيدا فان ذلك يمنع تأثير البرد الضار ويجلب النوم أيضا

واذا عرق النائم [illegible] الاستيقاظ مباشرة

ولا بأس من وضع اناء في حجرة النوم [illegible] كما كان يفعل ذلك رسول الله (ص) فان القيام الى مكان بعيد لاجل البول قد يحدث أرقا ويعرض الانسان لضرر البرد وغيره ، وذلك الضرر — لاشك — أعظم من استنشاق بعض تلك الرائحة التي تنبعث من البول

ومن المستحسن أن يبيت الانسان في فراش وحده لما تقدم بيانه ، وأيضا فان المبيت مع الزوجة في فراش واحد يحرك الشهوة فيضطر الانسان الى الاسراف في الجماع وفي ذلك ضرر عظيم

هذا ومن الناس من يقوم ويمشي في أثناء نومه ويأتي بأعمال عديدة لا يقدر أن يأتيها في اليقظة كالمشي على حائط مرتفع، وهذه الحالة قد تحدث للمصابين ببعض الامراض العصبية كالمرض المسمى بالهستيريا [1] ويسمى هذا النوع من النوم (بالجولان النومي) (Somnambulism)

(١) مرض يصيب النساء كثيرا وكان القدماء يظنون أنه من آثار أمراض جهازهن التناسلي فلذلك سموه بهذا الاسم المشتق من اسم الرحم باليونانية

الاحلام وعلم الغيب

الاحلام معروفة والظاهر من الكتب المقدسة خصوصا القرآن أن ما يراه الانسان في النوم قد يكون مطابقا للواقع أو لما سيقع كما يستفاد من سورة يوسف مثلا، وورد في حديث أن الاحلام ثلاثة (١) هواجس النفس و (٢) وسوسة الشيطان و (٣) الرؤيا الحق، وقال صلى الله عليه وسلم « رؤيا الرجل الصالح جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة » أي فهي تشبه أن تكون جزءا من الوحي

وسبب الاحلام الفسيولوجي هو بقاء بعض خلايا المخ يقظة في أثناء النوم

هذا واعلم أن الغيب حقيقي واضافي — فالحقيقي هو ما ليس له وجود في الكون مطلقا ولا يمكن الاستدلال عليه بشيء موجود. وهذا الغيب الحقيقي هو الذي استأثر بعلمه الله تعالى فلا يعلمه أحد الا باعلام من الله. [illegible] كل ما غاب عنك وهو موجود يعتبر غيبا حقيقيا فان الانسان خصوصا في الاعصر الاخيرة أمكنه العلم بأشياء غير واقعة تحت حواسه [illegible] ماركوني (Marconi)[1] أو التلغراف اللاسلكي، وهو [illegible] أن هذا العالم مملوء بالاثير، ولولا وجود هذا الاثير ما أمكن الجسم أن يؤثر في جسم آخر بعيد عنه، ففي هذا الاثير تحصل تموجات عديدة ينشأ منها النور والكهرباء والجذب وغير ذلك. فلهذا التلغراف آلتان آلة تحدث التموج الكهربائي والاخرى تتأثر به مهما بعدت عنها. فان هذا التأثير الكهربائي يسري في الاثير

وكذلك عرفت الآن أشياء تخترق حجب المادة الكثيفة وتصل الى باطنها بواسطة الاثير أيضا مثال ذلك أشعة الراديوم وأشعة رونتجن Röntgen وهو عالم ألماني من مدينة وورزبرج Würzburg اكتشفها في سنة ١٨٩٥م وهي عبارة عن أشعة لم يعرف كنهها تنبعث من القطب السالب اذا مرت الكهرباء في أنبوبة مفرغة وهي لا تضيء فلا ترى ولكنها تخترق كثيرا من الاجسام فترتسم صورها على حائل يوضع خلفها، وهذا الحائل مصنوع من لوح زجاجي مغطى بمادة كيماوية هي بلاتينو — سيانور — الباريوم Platino-cyanide of Barium أو البوتاسيوم

(١) عالم إيطالي لا يزال حيا

مثل الباريوم أو غيره، وفوقها غطاء من الورق يوضع عليه الجسم المراد رؤيته، ومن خواص هذه المادة أنها تضيء اذا مرت فيها تلك الاشعة المظلمة ، فاذا وضعت اليد مثلا امام هذه الانبوبة المفرغة خرجت الاشعة منها واخترقت اللحم والشحم وغيره فيرتسم ظل العظم على الوجه الزجاجي للحائل لان العظم يقاوم مرور الاشعة فيه أ كثر من غيره من الانسجة الرخوة فيظهر مظلما. ويمكن طبع الظل وحفظه بطريقة التصوير الفوتوغرافي حتى بدون واسطة الحائل المذكور . ومثل هذه الاشعة في تأثيرها أشعة الراديوم وهو عنصر اكتشف حديثا تنبعث منه أشعة متنوعة كالكهرباء والحرارة والنور وأشعة تخترق الحجب كاختراق أشعة رونتجن ، ولجهل مكتشف هذه الاشعة الاخيرة بحقيقتها سماها أشعة X أو الاشعة المجهولة كما تقول في اللغة العربية لكية الحساب المجهولة في بعض المسائل الرياضية الكية (س)

اذا علم ذلك أمكننا أن نشبه مخ الانسان بآلة كهربائية تنبعث منها في أثناء العمل تموجات مخصوصة كتموجات تلغراف ماركوني وهذه التموجات قد تلتقطها مخاخ بعض الناس بعد أن تتعدى باطن جماجمهم ومن المعلوم في علم الفسيولوجيا أن جميع أعمال الجسم الكبيرة والصغيرة ليست الا حركات متنوعة في ذراته وفي جواهره الفردة. ففي أثناء النوم اذا انقطع عن الانسان ما يشغله مما يوجد في هذا العالم واستراح مخه كان حينئذ صالحا لتلقي بعض تموجات أثيرية مما ينشأ من حوادث هذا العالم، فرؤية شخص لشخص يمشي في مكان خطر أو يسقط في البحر مثلا قد تكون مطابقة للواقع ونفس الامر . هذا في الاشياء الحاصلة في العالم ، وقد يستدل من بعضها المخ على البعض الآخر الذي لم يوجد فيتخيل له أنه واقع بالفعل فيراه ، ولكن كل ذلك لا يدل على انه علم الغيب بمقتضى التعريف السابق

أما حوادث العلم في المنام بالغيب الحقيقي فلا يمكن تعليلها بهذا التعليل السابق وانما هي من إلهام الله لبعض النفوس الصافية فان الغيب الحقيقي لا يعلمه الا الله كما نص على ذلك القرآن وهو الذي يطلع من يشاء من عباده على مايشاء فلا يعلمه أحد من ذاته بل باعلام الله ، ومثل ذلك الوحي والنبوة (اقرأ آخر سورة الجن)

والاحلام منها ما يحدث بسبب وداعية ومنها ما يحدث بغير سبب معروف .
والسبب اما أن يكون كثرة اشتغال العقل بشيء في اليقظة واما أن يكون شيئا طرأ على الانسان في نومه، كأن توضع شمعة مشتعلة أمام عين النائم فانه ربما يحلم بحريق أو رعد أو برق أو نحو ذلك

ويؤيد ماقلناه في الاحلام وما تنبئ به من الغيب مسألة التنويم المغنطيسي

التنويم المغنطيسي

يحدث هذا التنويم لانواع الحيوانات المختلفة اذا انحصر فكرها في شيء واحد مخصوص وأطاعت النفس شعورها بالميل لهذا النوع من النوم، فاذا حصر الانسان أو غيره فكره في جسم مضيء مثلا حصل له هذا النوم، وكذلك يمكن تنويم مثل الديكة والخيل وغيرهما ، وينوم الديك بوضع خط طويل امام عينيه ويوضع منقاره عليه ويمسك برأسه في هذا الوضع مدة فانه ينام نوما مغنطيسيا ، ويمكن أحيانا تنويم الاطفال [illegible] التنويم

والنائم هذا النوم يمكن ايذاؤه بأشياء كثيرة وهو لا يشعر بها حتى قد تعمل له بعض العمليات الجراحية وهو لايدري

وهذا النوم له درجات ست (وقسمها بعضهم الى ثلاث فقط) وآخرها من أغرب مايكون ، فان النائم يرى فيها البعيد كما يرى القريب ويسمي الافرنج تلك الحالة [Clairvoyance] ومعناها الحرفي « الرؤيا الواضحة» وفيها يشعر الانسان أيضا بالاشياء وإن كانت عيناه مغمضتين بل يمكنه القراءة بأي جزء من جسمه فقد حدث في محاكم مصر بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ أن نومت فتاة قبطية نوما مغنطيسيا فكانت تقرأ الساعة بمعدتها أمام القضاة وكانت ترى من خلفها ورأت ما بيد أحد المحامين وأعينها معصوبة ويد المحامي مقبوضة

ومن فوائد هذا التنويم أنه قد يستعمل لشفاء بعض الامراض،فمثلا اذا أصيب الانسان بمرض جلد عصبي (الاستمناء باليد) حتى إنه لم يقدر على كبح جماح نفسه ونوم وأمر أن لا يأتيه فانه يشفى من ذلك شفاء تاما، وكذلك من تعود التدخين أو تعاطي الافيون مثلا

وفي التنويم المغنطيسي يمكن للانسان أن يخاطب غيره اذا كان نائما مثله على بعد شاسع ويسمى ذلك بالتلغراف الانساني أو انتقال الافكار، وتسميه الافرنج [Telepathy] ومعناه الحرفي « الشعور على بعد » وهذا التأثير على البعدقد يحصل حتى للايقاظ. فاذا اتفق شخصان على التخاطب على بعد في وقت ومكان معينين أمكن ذلك بالمزاولة والرياضة الطويلة . وقد يؤثر الشخص في شخص آخر بعيد عنه بدون اتفاق بينهما أيضا ولكن ذلك نادر جدا

وهذه المسألة تفهمنا تأثير العين [1] الذي ورد فيه بعض الاحاديث النبوية وتواترت روايات أمم العالمين على حصوله وان أنكره بعض المتأخرين، على ان إنكارتأثير العين مطلقا مكابرة، فمن ذا الذي ينكر تأثير نظرة الرضا والحقد أو المحبة والبغض في النفوس وتأثير النظر الى الجميل والقبيح أو الفرح أو الحزين والى النشيط والكسلان المكتئب الى غير ذلك مما هو معروف . ولذلك قال(ص) « العين حق » وأما مازاد عن ذلك [illegible] عليه السلام أو أنه يراد به تأكيد ماللعين من التأثير في النفس [illegible]

ومثل التأثير على البعد أيضا بعض انواع السحر كالنوع المسمى بمصر (بالتبشبة)

ومن النوادر التاريخية التي لابعد عنها ماروي أن عمر رضي الله عنه كان يخطب بالمدينة فصاح في أثناء خطبته (ياسارية ، الجبل ، ياسارية الجبل ، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم) ثم عاد الى الخطبة حتى قال فيه بعض الصحابة إنه جن ، ولما سئل رضي الله عنه عن ذلك أجاب بأنه رأى جيوش المسلمين تكاد تفتك بها الاعاجم على أبواب (نهاوند) فصاح بقائدهم — ولم يتمالك نفسه — ليتحصن بالجبل . وبعدذلك جاءت الاخبار بأن المسلمين كادوا ينهزمون، لولا أن سارية القائد سمع مع بعضهم هاتفا يرشدهم الى الجبل، فدهش الناس لذلك وعلموا

(١) هذا التأثير قاصر على التأثير النفساني أو العصبي فقط، والذي نعتقده أنه لا يحدث مباشرة مرضا جوهريا عضويا فهو كتأثير وسوسة الشياطين

منه مقدار نفس عمر وكبر روحه . وهذه من أعظم مناقبه (رض)

واعلم ان جميع هذه التأثيرات تصل بين النفوس بعضها ببعض بواسطة الاثير - كما سبق - والظاهر أن جميع المخلوقات ليس فيها شيء آخر سوى المادة الكثيفة أو اللطيفة ، وهي التي تأتي بكل ما في هذا العالم من المشاهد العجيبة

أما اعتقاد عامتنا وبعض خاصة المليين بأن في الانسان أو في هذا العالم شيئا آخر مخلوقا يغاير مادة الكون فأرى أنه بعيد عن الصواب بعيد عن القرآن ، فان هذا الكتاب الشريف لم يثبت وجود شيء مّا يغاير مادة الكون سوى الله (٢ : ١١٤) حتى أنه نص على أن بعض ما يسمونه بالارواح كالجن مخلوق من مارج النار ، وهو من مادة هذا الكون [1]

---

(١) المنار : مادة الكون مؤلفة من عناصر كثيرة ما أحاط البشر بها علما ، ولما اكتشفوا من سنين قليلة الراديوم [illegible] الجديد بها مالم يكونوا يتصورون ولا يصدقون ، فرجعوا عن كثير [illegible] . ولا يبعد أن يكون في غير هذه الارض من عوالم الكون ما ليس فيها . ولم أر فائدة لحرص الكاتب على اثبات ان أرواح البشر والملائكة والجن من مادة الكون التي يعد منها الاثير الذي عرف بالعقل لا بالحس . ولم يقل أحد من علمائنا ان هذه الاشياء ليست من مادة الكون ، وكيف يقولون ذلك وهم مجمعون على أن الوجود قسمان : واجب أزلي وهو خالق الكون ، وممكن مخلوق وهو الكون . وأكثرهم يعرف الملائكة بانهم أجسام نورانية . فاذا كانوا يعبرون عنهم بالاجسام فهل يمكن ان يقولوا انهم ليسوا من الكون ؟ أما النسبة بين الملائكة والجن فهي العموم والخصوص المطلق ، فكل الملائكة من الجن وليس كل الجن من الملائكة . وليس المراد بكونهم من الجن ان كل ما يسمى جنا مخلوق من مادة واحدة ، بل معناه ان كل ذلك من العوالم الخفية المجتنة . واما القرآن فانه يثبت ان العالم قسمان : عالم الغيب وعالم الشهادة ، والملائكة والجنة والجحيم من عالم الغيب الذي لا نعلم من أمره الا ما عرفنا الوحي ، وانما نعرف بكسبنا شيئا قليلا من أحوال عالم الشهادة ، فعلينا ان نجتهد لنزداد علما فيما ينفعنا منه ، ونكتفي من أمر عالم الغيب بما صح خبر الوحي به ، ولا نقيس ما نجهل كنهه ، على ما لا نعلم الا بعض الشيء عنه

واذا لاحظنا أنه نص على أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ثم استثنى الشيطان أمكننا الاستدلال بذلك على أن الشيطان كان أحد الملائكة، وقد نص في آية أخرى (١٨ : ٥٠) على أنه كان من الجن؛ فيستنتج من ذلك أن لفظ الجن يطلق على جميع ما استتر من هذه العوالم ، فان مادته تطلق على كل ماخفي كالجنين مثلا .

ومما يؤيد كون الملائكة من الجن قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) مع أن العرب أشركت بالله الملائكة فلولا أن لفظ الجن يطلق عليهم أيضا لما صح هذا التعبير في الآيتين السابقتين

ولا ينافي ذلك نسبة الذرية للشيطان مع العلم بأن الملائكة لاتوصف بالذكورة ولا بالانوثة (ق ٤٣ : ١٩) فان الذرية قد تكون بغير اجتماع الذكر بالانثى — كما سيأتي بيانه في علم المكروبات —

نعم ان لفظ الجن اذا أطلق انصرف غالبا الى عالم مخصوص معروف في الذهن غير الملائكة كما في قوله تعالى حكاية عن لسان الملائكة (بل كانوا يعبدون الجن) الآية

أما مسألة استحضار الارواح فكثير من العلماء الى الآن يشكون فيها، وهي اذا صحت لاتنافي ماذهبنا اليه ، فان هذه الارواح التي تستحضر لم تخرج عن كونها من عالم الاثير باعتراف مستحضريها أنفسهم،حتى زعم بعضهم امكان تصويرها بالآلة الفوتوغرافية ، بل حاولوا ذلك فعلا ، وقد رأيت بنفسي هذه الصورة في بعض المجلات العلمية

والارواح التي تستحضر منها ماهو للبشر ومنها ماهو من العوالم الاخرى كالشياطين

ومسألة استحضار الارواح — اذا صحت أيضا — كانت دليلا بينا على صحة ما ورد في القرآن الشريف وصحة الاخبار والآثار عن الكهانة . فان الكاهن العربي أوغيره كان يسعى في إحداث علاقة بينه وبين الشياطين فيخبرونه عن بعض أشياء غيبية أو يعملون له بعض الأعاجيب كأن يحضروا له شيئا بعيدا عنه

ويؤيد ذلك أيضا ماورد في أسفار موسى (ص) كما في سفر التثنية ١٨ : ١١

وكذلك القصة الواردة في سفر صموئيل الاول ٢٨ : ١١ و ١٢ فكل هذه الاشياء تضافرت على القول بامكان الاتصال بذاك العالم الاثيري وليس ثم مانع في العلم الحقيقي منه

واعلم ان الاثير هو مادة العالم الاصلية التي خلقت منها العناصر والا كوان وهي لاشك حادثة كما سيأتي اثباته ان شاء الله تعالى في الجزء الثالث

الرياضة البدنية

من قوانين الكون أن العضو المستعمل ينمو ويحسن حاله ، والعضو الذي يهمل يضمر شيئا فشيئا حتى قد يزول من النسل بعد حين من الدهر ، لذلك كانت الرياضة البدنية من أوجب الواجبات لبقاء الجسم في الصحة والعافية ، حتى ان الاطفال يجدون أنفسهم مدفوعين بالهام إلهي الى كثرة اللعب ، لما في ذلك من الرياضة لابدانهم

وتأثير الرياضة أنها تسرع دوران الدم فتقوي القلب والعروق ، وتكثر تغذية جميع الاعضاء وبتم الاحتراق بها وتذهب عنها الفضلات الضارة التي يكثر إفرازها في البول والعرق وفي الهواء الخارج من الرئتين ، ولذلك يحتاج الانسان الى الاكثار من الطعام والشراب واستنشاق أكسجين الهواء ، وتقوى جميع عضلات الجسم وتسمن ويزول التشحم الذي قد يتراكم على القلب حتى يضعفه بل قد يكون سببا في الموت الفجائي بالسكتة القلبية

وتمام الاحتراق الذي يحصل بالرياضة يمنع تراكم حامض البوليك في الدم ، وهذا الحامض هو الذي يسبب أعراض المرض المسمى بالنقرس وقد يرسب في بعض الاعضاء كالكليتين فيتكون فيها حصيات ضارة جدا وكثيرا ماتؤدي الى الهلاك . وبالجملة فان الرياضة تقوي جميع أعضاء الجسم وتذهب عنها المواد الضارة فتصح

ويجب أن تكون الرياضة في الهواء النقي والا لاستنشق الانسان مايضره من العفونات

ولا يصح أن تعمل في وقت الحر الشديد ، فان الحر كثيرا مايقتل الانسان . ولا يجوز أن يتعرض الانسان بعد الرياضة وكثرة العرق للهواء فان ذلك من

أعظم الاسباب لاحداث التهاب الاعضاء والنزلات المتنوعة، كذلك لايجوز شرب الماء البارد عقبها ، فان من الناس من مات بسبب ذلك لحصول سكتة قلبية له

واذا أحس الانسان بتعب منها فالواجب أن لايأكل الا بعد الراحة فان المعدة تشترك مع الجسم في التعب ، فاذا وضع فيها الطعام حينئذ فانها لاتقدر على الهضم، وكثيرا ما يحصل القيء بسبب ذلك ، وان لم يتقايأ الشخص نزل الطعام الفاسد الى الامعاء فأحدث فيها تهيجا من آثاره المغص والاسهال

ومن الخطأ الكبير الجماع أيضا عقب الرياضة مباشرة فان ذلك يزيد في إنهاك قوى الجسم، فالواجب أن يتبع الرياضة الراحة أو النوم فان ذلك نافع جدا. ولا يجوز عمل الرياضة الشاقة عقب الاكل مباشرة كما سبق بيانه

والاعتدال في الرياضة ضروري جدا — كما في سائر الاشياء — ومدتها للشبان الاصحاء نحو من ساعة في اليوم نصفه في أوائل النهار ونصف في آخره، هذا اذا كانت بالمشي السريع [illegible] ولا تكون ساعتين . ومن الامراض مالا توافقه الرياضة [illegible] القلب

وأنواع الرياضة عديدة منها المشي ومنها العدو ومنها السباحة وركوب الخيل وغير ذلك ، ولا يتوهم أحد أن المشي لايكفي، وكيف لا يكفي وبه تتحرك جميع العضلات تقريبا ويسرع القلب والتنفس

النبذة الرابعة

في علم الانسجة أو التشريح الدقيق

الهستولوجيا Histology

الهستولوجيا كلمة يونانية ومعناها [علم الانسجة] وبعبارة أخرى علم التشريح الدقيق للجسم ، وقد سبق ذكر أشياء كثيرة منه في النبذة الثالثة

وهذا العلم لايمكن دراسته الا بالمجهر المسمى بالميكروسكوب أي المنظار الدقيق

ليتيسر للانسان الوقوف على جميع دقائق الجسم

أما المجهر فهو مبني على الحقيقة الطبيعية الآتية وهي أن الجسم اذا وضع على بعد مخصوص من العدسة المحدبة تجمعت الاشعة المنبعثة منه ورسم كبيرا في الجهة الأخرى، وهذه الصورة الكبيرة تمكن رؤيتها بالعين المجردة، وقد ترى بعدسة أخرى فتزداد كبرا، لذلك كان الميكروسكوب عبارة عن أنبوبة معدنية في طرفها عدسة محدبة، وكذلك في الطرف الآخر، الا أن الغالب أن تكون العدسة التي في الطرف الاول محدبة من الجانبين وفي الطرف الثاني محدبة من الجهة الداخلية فقط

وتكون العدستان على أبعاد مخصوصة معروفة في علم الطبيعة، فاذا أريد رؤية أي جزء من أجزاء الجسم قطعت منه طبقات رقيقة بآلة كللوسي وتوضع القطعة منها على لوح من الزجاج بعد أن تلون بألوان مخصوصة أو بدون تلوين

ثم يوضع هذا اللوح على حامل في المجهر له ثقب مستدير في وسطه وتحت هذا الثقب مرآة لمكس الاشعة لتنفذ خلال القطعة الرقيقة التي فوق اللوح الزجاجي فتكبر صورتها العدسة الاولى ثم تكبر هذه الصورة العدسة الثانية فيراها الانسان كبيرة جدا

وبهذه الآلة أمكن الوقوف على دقائق عالمي الحيوان والنبات وبها اكتشفت الميكروبات، فلها الفضل الاكبر في علم الطب الحديث

فاذا نظر بالمجهر الى أجزاء الجسم المختلفة وجد أنها تتركب من الانسجة الآتية:—

(١) ايثيليوم [Epithelium] وهذه كلمة يونانية معناها الغطاء لان هذا المنسوج يغطي جميع أجزاء الجسم من الظاهر والباطن كما في الجلد وفي قناة الهضم وغير ذلك

(٢) المنسوج الضام وهو الذي يربط أجزاء الجسم بعضها ببعض

(٣) المنسوج العضلي وهو الذي تحصل به الحركة — كما سبق —

(٤) المنسوج العصبي وهو المخ والنخاع وسائر الاعصاب

وكما أن جميع المنسوجات كالاقمشة مثلا تتركب من أجزاء دقيقة جدا وهي الخيوط كذلك هذه الانسجة تتركب من خيوط تسمى الالياف، ومن كل صغيرة جدا

تسمى الخلايا، وبينها مواد تربط الواحد منهما بالآخر. وأصل جميع ما في الجسم من الألياف وغيرها ناشئ من الخلايا . فالخلايا في الحقيقة هي عنصر الاجسام الحية نباتية كانت أو حيوانية. إذ من الثابت أن الانسان يتكون من بيضة واحدة، وهي في الحقيقة خلية حية

ففي بعض أجزاء الجسم نجد أن هذه الخلايا منضودة صفوفا بعضها فوق بعض ويتكون منها الايثيليوم المذكور، وفي الاجزاء الاخرى تمتط هذه الخلايا فيتكون منها العضلات أو الاعصاب أو المنسوج الضام بتغيرات مختلفة تحصل فيها . وقد يتكون في داخلها مواد دهنية فينشأ من ذلك منسوج الشحم

ومن الناس من يعتقد أن ألياف المنسوج الضام كانت خلايا فامتطت — كما قلنا — ومنهم من يرى انها افرازات من الخلايا ترسب فيما بينها كما ترسب بعض الاملاح في السوائل والقول بأنها رواسب هو الراجح الآن عند العلماء

أما الخلية فهي [illegible] الاجسام الحية وتتركب من البروتبلازم[1] Protoplasm وهو مادة تدخل في تركيبها [illegible] من العناصر التي في جسم الانسان فهي كانسان صغير. ففيها الماء والزلال والدهن والمواد الكربوهيدراتية وأملاح عديدة وغير ذلك. ولها جميع خواص الحياة وهي التنفس والتغذي والافراز والحركة. وجميع هذه الاعمال يمكن لكل جزء من أجزاء جسمها أن يقوم بها على حد سواء، فمثلا التغذي يحصل بجميع جسمها ، وفي حركتها ترسل من أي جزء من جسمها أذنابا تتحرك بها كالمجاديف . وكلما ارتقت الحيوانات تخصصت بعض هذه الخلايا بعمل مخصوص كما نرى في الانسان؛ فمثلا نرى أن الحركة في الانسان خصت بها أعضاء ، وكذلك القول في التغذية الا أن الخواص المذكورة للحياة تبقى لكل خلية وإن لم تظهر فيها ظهورا بينا ، بمعنى أن بعض الوظائف قد يبقى كامنا في الخلايا وتظهر بعض الخواص الاخرى ظهورا بينا، كالاحساس مثلا فان جميع الخلايا الحية تحس الا ان الاحساس في المجموع

(١) كلمة يونانية معناها المكون الاول لاعتقاد العلماء انها أول مظهر من مظاهر الحياة في هذا العالم

العصبي أظهر بكثير مما هو في المنسوج الضام مثلا

وأول الاحياء كانت قطعاً بروتوبلازمية مجردة من كل شيء آخر، وفي الاحياء التي أرقى من ذلك يتكون في وسط الخلية بقعة قاتمة تسمى «النواة» وهي تغاير في تركيبها بعض التغاير لمواد البروتوبلازم ويصير لهذه النواة التأثير في تغذية الخلايا وفي انقسامها فلا يبدأ الانقسام في الخلية الا اذا انقسمت نواتها واذا فصل جزء منها عن النواة أصابه الفساد، وفي وسط هذه النواة نواة صغرى تسمى النوية

و يتصلب الجزء الذي على سطح البروتوبلازم حتى يصير كحائط الخلية

والخلايا تتكاثر بالانقسام وهذا الانقسام يبدأ بانقسام النواة ثم ينقسم البروتوبلازم فتصير الخلية الواحدة خليتين ، والخلايا التي لانواة لها لايكون جزء منها مسيطرا على الباقي

ومن الخلايا ما ينقسم داخل الغشاء الكاذب المحيط بالخلية ومنها ما ينقسم مع نفس هذا الغشاء فمثال الاول [illegible] تنقسم بدون انقسام الغلاف، ومثال الثاني الحيوان المتغير (الاميبا [illegible]) وهو مركب من خلية واحدة تنقسم كلها فيصير الواحد اثنين ثم أكثر فأكثر وهو يوجد في بعض المياه الآسنة

والفرق بين أبسط النباتات وأبسط الحيوانات هو عسر التحديد الا أنه يمكن أن يقال فيه ما يأتي (١) ان خلايا النباتات محاطة بطبقة من مادة السللولوز وهي المادة التي يتركب منها الخشب وتشبه في تركيبها الكيماوي النشاء، ولكن من الحيوانات مافيه هذه المادة أيضا (٢) في خلايا النباتات الراقية مادة خضراء تسمى (الكلوروفيل) وهي كلمة يونانية معناها « خضرة الورق » (٣) ان الخلايا النباتية تكوّن— بواسطة الكلوروفيل مع تأثير أشعة الشمس—من بعض العناصر البسيطة أجساما عضوية التركيب مثل السكر الذي تولده النباتات من غاز ثاني أكسيد الفحم الموجود في الهواء، والنباتات تولد أيضا من الاملاح النيتروجينية البسيطة—مثل نترات الصوديوم— مواد زلالية معقدة التركيب. أما الحيوانات فلا يمكنها هذا العمل وهي تعتمد في غذائها بالمواد الزلالية وغيرها كل الاعتماد على

(١) كلمة يونانية معناها المتغير لتغير شكله دائما كما سبق في حاشية ص ٦٨

النباتات التي لولاها لهلكت جميع الحيوانات

هذا وقد سبق ان الجسم الانساني كله مولد من البويضة بانقسام نواتها وبروتوبلازمها كله ومن الحيوانات كالقنفذ مثلا ما يتولد بانقسام النواة مع جزء صغير مما يحيط بها من البروتوبلازم وتتغذى بالباقي منه

والابثيليوم مركب — كما قلنا — من خلايا مرصوص بعضها بجانب بعض، وقد يتكون منها عدة طبقات أو طبقة واحدة كما في أبثيليوم البريتون، وفي الجلد طبقات عديدة منه، وفي غشاء المثانة تكون الطبقات أقل من طبقات الجلد. وفي بعض أعضاء الجسم يكون لخلايا الطبقة العليا منه أهداب تتحرك بنفسها وهي عبارة عن زوائد ممتدة من نفس البروتوبلازم — كما تقدم —

أما المنسوج الضام فيراد به أشياء كثيرة منها أربطة المفاصل وأوتار العضلات والعظام والغضاريف والشحم؛ ومن الناس من يعد الدم من المنسوج الضام أيضا. وأعظم مايتميز به [illegible] المادة التي بين خلاياه

وأما المنسوج العضلي — [illegible] — والمنسوج العصبي فقد سبق الكلام عليهما فلاحاجة الى التكرار . وتبارك الله الذي خلق الخلق في هذه الاطوار

(انتهى الجزء الاول)

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة ، ومعلم الحكمة ، وعلى آله وصحبه هداة الأمة (وبعد) فقد جعلت هذا الجزء الثاني من محاضراتي خاصا بالكلام على الأحياء الدقيقة من ميكروبات وديدان وغيرهما وما ينشأ عنها من الأمراض المعدية وأعراضها وعلاجها وطرق إتقائها — الى غير ذلك من المباحث العالية النفع والرية لحياة الأفراد والأمم

ولما كانت لغتنا العربية في أشد الحاجة الى مثل هذه المباحث الراقية التي قتلها الافرنج بحثا وتمحيصا — لم أقتصر في هذا الجزء على ما ألقي منها على طلبة مدرستنا (دار الدعوة والإرشاد) [illegible] الله نافعا حتى للخاصة، ونقلت الى لغتنا الشريفة أهم ما [illegible] الافرنج في هذه المسائل راجيا بذلك خدمة اللغة والامة بإرشادها الى ما يجب اتباعه لاتقاء شر تلك الأمراض المعدية التي تفني كثيرا من الناس في كل يوم، وتضعف الامم التي لم تلتفت إلى سنن الله تعالى فيها وأهملتها إهمالا شنيعا

وقد جريت في هـذا الجزء على طريقتي في الجزء الأول من التدقيق في التعريب واختيار أوضح العبارات وأقربها الى تناول جمهور القراء ليسهل على كل مطلع على الكتاب فهم المراد منها ، مراعيا في كل ما أكتب نصوص الشريعة الاسلامية الغراء ، وأساليبها ممحصا لها ، وموفقا بين تلك النصوص وبين الحقائق العلميـة ، والله الهادي الى أقوم طريق

البكتيريولوجيا

Bacteriology

علم الاحياء الدقيقة الخفية

البكتيريولوجيا لفظ يوناني معناه علم البكتيريا . والبكتيريا معناها العصي (جمع عصا) ويراد بها غالبا الاحياء الدقيقة النباتية التي أكثرها مركب من خلية واحدة، وإنما سميت بذلك لكون شكل كثير منها مستقيما كالعصا . ولفظ ميكروب معناه الحي الدقيق [1] والذي وضع هذا اللفظ شخص يسمى سيدلوت Sédillot في سنة ١٨٧٨ م ويطلق على جميع الاحياء الدقيقة سواء أكانت نباتية أم حيوانية أم في المنطقة التي بينهما . وجمهور العلماء يطلقون لفظ (البكتيريولوجيا) على علم الميكروبات كلها مع اختلاف أنواعها

أما علم البكتيريولوجيا الحالي فمؤسسه الحقيقي هو العلامة لويس باستور LouisPasteur الفرنسي عاش بين سنة ١٨٢٢ و ١٨٩٥م واشتغل كثيرا بالبحث في داء الكلب والهيضة (الكوليرا) فهذا العلم تأسس في القرن التاسع عشر ، وأما وما كتب فيه من قبل فلم يكن مما يعول عليه كثيرا

وممن نبغ فيه أيضا الأستاذ روبرت كوخ الالماني Robert Koch وكان من أعلم علماء عصره وا كتشف ميكروب الدرن وبحث بحثا دقيقا في الهيضة والطاعون عاش بين سنة ١٨٤٣ وسنة ١٩١٠

وقد عرف الآن ان الميكروبات هي السبب في أكثر الامراض . والذي هدى الناس الى العلم بهذه الاحياء هو المجهر (الميكروسكوب) ، ولكن اختراعه الذي كان في سنة ١٥٩٠ قد سبق علم البكتيريولوجيا ببضعة قرون ، ولم يكن في

(١) المنار : اختار بعض كتاب العصر اسم الجراثيم للميكروبات ، واستحسنا من قبل اطلاق اسم الجن او الجنة عليها لخفائها

ذلك الوقت مرتقيا الى حيث يكشف لنا عن أ كثر هذه الاحياء الدنيئة . وأقوى أنواعه الآن ما يكبر الشيء ١٠٠٠٠ ضعف

كيفية دراسة الميكروبات

لدراسة الميكروبات توضع على لوح من الزجاج ، ثم تثبت باحدى الطرق المشهورة في هذا الفن ، ثم تلون بألوان مخصوصة لاظهارها جيدا ، وإن تكن رؤيتها حية بدون تلوين . وطريقة ذلك أن يصنع لوح سميك من الزجاج به حفرة صغيرة (تقعير) في وسطه ، ثم يؤتى بلوح آخر رقيق جدا وتوضع نقطة من السائل الذي فيه الميكروب على هذا اللوح ثم تغطى الحفرة بهذا اللوح الرقيق ، بحيث تكون النقطة متجهة الى الاسفل أي تكون في تجويف الحفرة المغطاة باللوح الرقيق . ويسمي علماء هذا الفن هذه الطريقة (طريقة النقطة المعلقة) وفائدتها أن تحفظ السائل من التبخر وتوجد هواء محيطا به لتنفس الميكروب ، وبهذه الطريقة يمكن مراقبة نمو الميكروب وتحركه [illegible]

أما المادة الملونة فهي تكون غالبا ما تسمى بالانيلين [Aniline] وهي كلمة برتغالية معناها النيلة ، وتلك المادة من مستخرجات قطران الفحم الحجري ، وسميت بذلك لأنها صنعت في أول الامر من النيلة التي تستخرج من ورق شجرة معروفة وعيدانها . ومادة الانيلين هذه بأ نسدها يستخرج منها ألوان عديدة كالاخضر والاصفر الخ

تعريف الميكروبات

أ كثر ميكروبات الامراض أحياء من عالمي الحيوان والنبات ولكنها أميل الى النباتية منها الى الحيوانية ، وهي في الغالب مركبة من خلية واحدة لا نواة[1] لها ، ومحاطة بغلاف من السللولوز[2] ولكنها خالية من مادة الكلوروفيل مطلقا ، ولذلك اختلفت الميكروبات عن النباتات العالية ، فلا يمكنها تحليل غاز ثاني أكسيد

(١) يرى الآن بعض العلماء أنها ليست مجردة من النواة خلافا لما كان قد ذهب اليه الجمهور (٢) كون هذا الغلاف من السللولوز فيه نظر ، حتى أنكر ذلك الآن بعض العلماء

الفحم الموجود في الهواء فهي في ذلك تشبه المواد الفطرية المركبة من عدة خلايا نباتية . وأيضا بعض الميكروبات يمكنها أن تركب مواد أزوتية عضوية من مثل النوشادر وحامض النيتريك وهي مواد غير عضوية ، فأشبهت بذلك النبات شبها عظيما وغايرت الحيوان بذلك وبغالبها الفسيولوجي ، ومنها طائفة تأخذ الأزوت الضروري لها من الهواء

والمواد العضوية منسوبة الى أعضاء النبات والحيوان لأنها تتولد بواسطة هذه الاعضاء ، مثال ذلك غرفين (زلال) البيض والسكر وغيره

وأما المواد غير العضوية فهي التي توجد في الكون بدون واسطة النبات أو الحيوان كملح الطعام

فترى من هذا أن أهم مميزات النبات عن الحيوان أنه يمكنه توليد المواد العضوية من المواد غير العضوية مباشرة ، والحيوان لا يمكنه ذلك البتة، وهو في غذائه مضطر الى أكل النبات . وإيضاح ذلك أنه يوجد في الارض أملاح تسمى النيترات أي يوجد فيها النيتروجين (الأزوت) والاكسجين متحدين معا ومع معدن من المعادن كالبوتاسيوم مثلا ، فاذا صب عليها الماء ذابت فيه فيمتصها النبات ويتغذى بها ويحولها الى مواد زلالية ، وبذلك يمكنها أن تعيش بالاستقلال عن سائر الاحياء الاخرى ؛ وفي الهواء آثار من مادة النوشادر وهي مركبة من النيتروجين والهيدروجين وسهلة الذوبان في الماء فتذوب في ماء المطر وتسقط الى الارض فيتغذى بها النبات أيضا ويولد منها مواد زلالية

وأما الحيوان فاذا منعت عنه المواد الزلالية فانه يهلك بسرعة

وعليه فأصل الوجود الحيواني متوقف على النباتات وهي لاشك خلقت قبله . ولنرجع الى ما كنا فيه :

أشكال الميكروبات

للميكروبات أشكال عديدة أهمها : —

(١) الشكل الباسيلي أي المستطيل، وكلمة باسيل [Bacillus] لاتينية معناها

العصية (تصغير عصا) وذلك لان ميكروبات هذا النوع تحاكي خطوطا مستطيلة صغيرة جداً ، فاذا قيل باسيل الدرن فمعناه عصيات الدرن أي ميكروبه الذي شكله مستطيل

(٢) البزور [Cocci] وميكروبات هذا الشكل كنقط صغيرة ، وهذه النقط قد يلتصق بعضها بجانب بعض فيتكون منها خيوط تسمى البزور السلسلية [Streptococci] وقد تجتمع مثنى مثل ميكروب الالتهاب الرئوي والروماتزم والالتهاب السحائي الوبائي والسيلان إلا أن هذا الاخير شكل بزوره كلوي (أي كشكل الكلية) وقد تجتمع رباع ، وقد تجتمع على أشكال غير منتظمة فيتكون منها ما يسمى بالبزور العنقودية [Staphylococci]

والبزور المربعة توجد عادة في التي [illegible] تمدد المعدة ، والبزور الاخرى السلسلية والعنقودية توجد في الالتهابات والخراجات ونحو ذلك ، وأشدها خطرا البزور السلسلية فانها [illegible] ، وهو من الامراض المعدية الفتاكة ، وتوجد أيضاً في بعض التهابات الرحم [illegible] الولادة

(٣) الشكل الحلزوني [Spirilla] وميكروبه يكون دقيقا مستطيلا ملتويا على نفسه كالثعبان ، ومن هذا الشكل ميكروب الهيضة (الكوليرا) وهذا الميكروب كثيرا ما يشاهد مقسما الى قطع صغيرة كل قطعة منها تشبه الضمة أو الشولة ، ولذلك يسمونه بالباسيل الضمي [Comma] فاذا اجتمع من هذا الميكروب اثنان مثلا فقد يتكون منهما شكل يشبه حرف (S)

ومن الشكل الحلزوني أيضا ميكروب الزهري وميكروب الحمى الراجعة . والجمهور يعد الآن بعض الحلزونيات من نوع الحيوان لا من نوع النبات وهو الراجح

وبعض الميكروبات لها أهداب [Flagila] تتحرك بها ، فمثلا ميكروب الحمى التيفودية له أهداب عديدة تبلغ ٨ أو ١٢ وطول كل منها نحو من ضعف طول الميكروب نفسه ، وهو يتحرك بهذه الاهداب حركة شديدة ، ولضمة الكوليرا هدب أو اثنان في طرف واحد منها ، وكذلك الاشكال الاخرى قد يكون لبعضها أهداب

ويقال ان لميكروب الحمى الراجعة أربعة أهداب اثنان في كل طرف . ولا

فرق بين طرف وطرف في هذه المكروبات بل يمكننا أن نسير بأي ثبات

تربية المكروبات

والمكروبات يمكن تربيتها تربية صناعية ويسمى ذلك في اصطلاح هذا العلم «زرع المكروب» أو إنباته لانها نباتات — كما قلنا —

ومن السوائل المستعملة في تربية المكروب المرق واللبن والبول ومصل الدم

وأما المياه الجيدة فقد شوهد أن المكروبات لاتعيش فيها أكثر من ١٤ الى ٤٠ يوما ، وربما كان ذلك لقلة المواد المغذية لها فيها

ويمكن تربيتها أيضا على الجلاتين وهو مادة تستخرج بغلي العظام والانسجة الضامة كالاربطة وغيرها . وكلمة جلاتين إيطالية معناها الفالوذج ، ويمكن تسمية هذه المادة في لغتنا (بالودك) وهي مادة تشبه المواد الزلالية في تركيبها أي انها تشتمل على النيتروجين

ومن المواد الصالحة أيضا لتربية المكروبات مادة تسمى (بالأجار أجار) [Agar - agar] وهي تستخرج من نبات بحري ينبت في الشرق كاليابان وجاوة . ومن هذه المواد أيضا البطاطس ومرق البيض المسلوق (زلاله)

والمكروبات المرضية تحتاج في نموها الى حرارة مثل حرارة الانسان تقريبا (أي نحو ٣٥ — ٣٩) ولذلك توضع في آلة مخصوصة تسمى آلة التفريخ [Incubator] تكون الحرارة فيها مرتفعة الى درجة مخصوصة

ومن المكروبات مايحتاج لأكسجين خالص أي غير متحد بشيء ، كما في الهواء ليستنشقه ومنها مايضره الاكسجين الخالص ويمنع نموه

وهذه المسألة من أغرب مسائل العلم الطبيعي ، فان الناس كانوا يظنون أن الهواء ضروري لجميع الاحياء كضرورة الماء لها وقد ظهر بطلان ذلك ، ومن آيات بيان القرآن الحقائق أنه قال (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ولم يقل في موضع ما منه إن الهواء ضروري للاحياء

ومن المكروبات ما يعيش في الهواء وفي غير الهواء ، وهذا النوع هو والنوع الذي يضره الاكسجين يمكن زرعه (تربيته) في الفراغ

ومن أمثلة مالا ينمو في الهواء باسيل التيتانوس ، وهو مرض يحدث من دخول هـذا الميكروب في أي جرح في الجسم فيصاب الجسم بالتشنج الذي يبتدئ بتقلص عضلات العنق وبانقباض الفكين حتى لا يمكن للانسان أن يفتح فاه، ولذلك يسمى هذا المرض بالعربية الكزاز، وميكروبه يعيش في الطين والوحل والاتربة المختبئة في الاماكن المظلمة وتعريض هذا الميكروب للهواء يضعفه ويمنع نموه. أما ميكروب الدفتريا مثلا (التي منها الخانق) فانه يعيش في الاكسجين وفي غيره

توالد الميكروبات

وأشهر طرائق توالد الميكروبات اثنتان : الطريقة الاولى الانقسام — وهي عامة في الجميع — فتنقسم كل خلية منها بالعرض [1] الى اثنتين والاثنتان الى أربع وهلم جرا

والطريقة الثانية تكون بتولد [illegible] [Spore] في داخل كل ميكروب وبعدها ينفلق الميكروب [illegible]

وهذه الطريقة [illegible] الاشكال [illegible] قليل من الحلزونية. والحبيبات تقاوم درجة الغليان (١٠٠ سنتيجراد) لمدة تختلف من خمس الى عشر دقائق ، وهي تقاوم المواد المطهرة كالسليماني والفنيك مقاومة كبيرة، ولذلك يجب أن تكون نسبة السليماني الى الماء أكبر من النسب المعتادة لإبادة حبيبات تلك الميكروبات ، وكذلك يجب إبقاء الشيء المراد تطهيره في المحلول مدة طويلة

وطريقة التوالد الاولى تكثر الميكروبات، والثانية تبقي النوع فقط ولا تكثره

---

(١) هذا في الميكروبات النباتية أما الحيوانية كميكروب الزهري والحمى الراجعة فتنقسم بالطول. وفي البيئة الصالحة قد يحدث انقسام الميكروبات مرة في كل عشرين أو ثلاثين دقيقة

أثارة من تاريخ العرب
في الاندلس

تلي من هدي الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وجمعه بين الدين والدنيا ، ومكانة علماء الدين في عهده ، وقبوله منهم الاغلاظ في وعظه — وعن سيرة قضاة العدل وعلماء الآخرة ، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا يخافون في الحق صولة حاكم ، على ورع يزينه ظرف ولطف ، ودعابة لامهانة فيها ولا سخف ، يشتمل ذلك كله في ترجمة الوزير الفتح بن خاقان القاضي البلوطي في كتابه «مطمح الانفس ومسرح التأنس ، في ملح أهل الاندلس» بقطع النظر عما تكلف من إبداع ، وما صنعه من أسجاع :

(الفقيه القاضي أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله تعالى)

آية حركة في سكون ، وبركة لم تكن معدة ولا تكون ! وآية سماحة في علم ، وجهامة ورع في طي تبسم ! اذا جد نجرد ، واذا هزل نزل ، وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع عن مرقب ، ولا اكتسب إثما ولا احتقب ؛ ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن ، وناهيك من عدل أظهر ، ومن فضل اشتهر ، ومن جور قبض ، ومن حق رفع ، ومن باطل خفض ؛ وكان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم . واستمر في القضاء الى ان مات الناصر لدين الله ، ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته توفي ، بعد ان استعفى مرارا فما أعفي ، فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جور ، ولاعدت عليه في حكومته زلة . وكان غزير العلم كثير الادب ، متكلما بالحق ، متبينا بالصدق ، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع ، والرد على أهل الاهواء والبدع ؛ وكان خطيبا بليغا ، وشاعرا محسنا . ولد سنة ثلاث وعشرين (ومائتين) مدة ولاية المنذر بن محمد . وتوفي يوم الخميس

لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

﴿ ومن شعره في الزهد ﴾

كم تصابى وقد علاك المشيب … وتعامى عمدا وانت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير … ان يوم الحمام منك قريب
ياسفيها قد حان منه رحيل … بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارتقبها … لا يداويك ان أتاك طبيب
كم توانى (١) حتى تصير رهينا … ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم … فاعملن جاهدا لها يا اريب
وتذكر يوما تحاسب فيه … ان من يدّكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا … للخطايا عليك فيها رقيب

الخطابة في الاحتفالات الرسمية

وذكر ان أول [illegible] ومعرفته به ولقاءه ، ان الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم صاحب القسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره ، وابهر أمره ، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه لذكر جلالة مقعده ، ووصف ماتهيأ له من توطد الخلافة ورمي الملوك بأماطاء وتقدم الى الامير الحكم ابنه باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ، ويقدمه امام انشاد الشعراء، (٢) فتقدم الحكم الى أبي علي البغدادي (٣) ضيف الخلافة وأمير الكلام ، وبحر اللغة ان يقام ، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم انقطع ، وبهت فما وصل الا قطعا ، ووقف ساكتا متفكرا ، وتشوف لا ناسيا ولا متذكرا

(١) كذا وربما كان الاصل « كم توانى » (٢) يعلم من هذا أن عادتهم في الاحتفالات كعادة أهل هذا الزمان في الخطابة . وكان منظم هذا الاحتفال الحكم ولي عهد الخليفة (٣) فيه أن وحدة الأمة ما كانت تمنع في ذلك الزمن تقديم الغريب عن البلاد على أمثاله من أهلها اذا كان أهلا وان كان تابعا لحكومة أخرى، ولا يكون مثل هـذا في مصر الآن ، لان التعصب للبلاد أضعف وحدة الامة

ارتجال العلماء الخطابة حتى في السياسة

فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام بذاته ، بدرجة من مرقاته ، فوصل افتتاح أبي علي البغدادي بكلام عجيب ، ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل مجيب ، وقال : اما بعد فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحق الا الضلال ، واني قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فاصغوا لي بأسماعكم ، وامنوا عليّ بأفئدتكم ، معاشر الملأ : ان من الحق ان يقال للمحق صدقت وللمبطل كذبت ، وان الجليل تعالى في اسمائه وتعدق بصفاته[1] أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين ان يذكر قومه بنعم الله عز وجل عندهم ، وأنا أذكركم نعم الله تعالى عليكم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي امنت سربكم ، ورفعت خوفكم ، وكثرت قليلكم فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم ، ولاه الله رعايتكم ، وأسند اليه امامتكم ، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق ، وأحاطت بكم شعل النفاق ، حتى صرتم في مثل حدقة البعير مع ضيق الحال ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم بيمن سياسته الى كنف العافية بعد استيطان البلاء ، انشدكم يامعشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والاموال منتهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته ، حتى اذهب عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يدا على عدوكم بطوية خالصة ، وبصيرة ثابتة واقرة ، فقد فتح الله عليكم أبواب البركات ، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات ، وصارت وفود الروم وافدة عليكم ، وآمال الاقصين والادنين اليكم ، يأتون من كل فج عميق ، وبلد سحيق ، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقضي الله أمرا كان مفعولا . ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الامر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة تدل على أمور باطنة ، دليلها قائم وغيبها عالم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ،

(١) لعل الاصل وتقدس بصفاته

وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا) وليس في تصديق ما وعد الله عز وجل ارتياب ، ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، وسلوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بالعصمة والسداد ، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم، بالمناصحة لامامكم ، والتزام الطاعة لخليفتكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم، فان من نزع يده من طاعة ، وسعى في فرقة الجماعة ، وفر من الديانة ، فقد خسر الدنيا والآخرة، الا ذلك هو الخسران المبين . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصا كم ، وتفريق ملتكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين والمرسلين ، أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين . وأنشد يقول

مقال كحد السيف وسط المحافل ... فرقت به ما بين حق و باطل

بقلب ذكي [illegible] ... [illegible] نقش الانامل

فما دحضت رجلي ولا زل مقولي ... ولا [illegible] يوم تلك البلابل

بخير امام كان أو هو كائن ... لمقتبل أو في العصور الاوائل

وقد حدقت نحوي عيون إخالها ... كمثل سهام اثبتت في المقاتل

ترى الناس أفواجا يؤمون داره ... وكلهم ما بين راض وآمل

وفود ملوك الروم وسط فنائه ... مخافة بأس أو رجاء لنائل

فعش سالما اقصى حياة معمر ... فأنت غياث كل حاف وناعل

فقال العلج: هذا والله كبش الدولة، وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه

خطبة ارتجالية قربت عالما من الخليفة

وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجبا منه واقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال الحكم : هذا منذر بن سعيد البلوطي ، فقال والله لقد أحسن ما أنشأ ، [1] ولئن ابقاني الله تعالى لأرفعن من ذكره ، فضع

(١) لعل الاصل : أحسن ما شاء

بذلك بإحكام واستخلفه وذكرني بشأنه في الصنيعة مذهب عنه فلما انتهى الناصر الى الجامع بالزهراء ولاه الصلاة فيها والخطبة . ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بقرطبة وأقره على الصلاة بالزهراء

جهر القاضي بانكار اسراف الخليفة

وكان الخليفة الناصر كلفا بعمارة الارض ، وإقامة معالمها ، وتكثير مياهها ، واستجلابها من أبعد بقاعها ، وتخليد الآثار الدالة على قوة ملكه ، وعزة سلطانه وعلو همته ، فافضى به الاغراق في ذلك الى ابتناء مدينة الزهراء الشائع ذكره ، الذائع خبره ، المنتشر في الارض أثره ، واستفرغ وسعه في تنجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها ، فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ، فأراد القاضي منذر بن سعيد رحمه الله وجه الله في أن يعظه ويقرعه في التأنيب ، ويغض منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب ، والتذكير بالانابة

فابتدأ أول خطبته بقوله تعالى (أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون * إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ووصل ذلك بكلام جزل ، وقول فصل ، جاش به صدره وقذف به على لسانه بحره ، وأفضى في ذلك الى ذم المشيد والاستغراق في زخرفته والسرف في الانفاق عليه ، فجرى في ذلك طلقا ، وتلا في ذلك قوله تعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين * لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) وأتى بما شاكل المعنى من التخويف بالموت والتحذير منه ، والدعاء الى الله عز وجل في الزهد في هذه الدنيا الفانية والحض على اعتزالها ، والتبيين لظاهر معانيها ، والترغيب في الآخرة وباقيها ، والتقصير عن طلب الدنيا ، ونهي النفس عن اتباع الشهوات ، وتلا من القرآن العظيم ما يوافقه ، وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ويطابقه حتى بكى الناس وخشعوا ، وضجوا وتضرعوا ، وأعلنوا الدعاء الى الله تعالى

فعلم الخليفة أنه المقصود به، والمتعمد بسببه، فاستجدى وبكى، وندم على ما سلف منه من فرطه، واستعاذ بالله من سخطه، واستعصمه برحمته؛ الا أنه وجد على منذر بن سعيد للغلظة التي قرعه به، فشكا ذلك الى ولده الحكم بعد انصرافه، وقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وأسرف في ترويعي، وأفرط في تقريعي، ولم يحسن السياسة في وعظي وصيانتي عن توبيخه، ثم استشاط، وأقسم أن لا يصلي خلفه الجمعة ابدا، فقال له الحكم: وما الذي يمنعك من عزل منذر بن سعيد والاستبدال به؟ فزجره وانتهره، وقال: أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أم لك يعزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشد، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكونه واني لأستحي من الله تعالى أن لا أجعل بيني وبينه شفيعا في صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد، ولكنه وقذ نفسي وكاد يذهبها والله لوددت أن أجد سبيلا الى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا [illegible]

وعظه قوم من [illegible] فقال:

لا تعجبوا من أني كتبته ... من بعد ما قد سبا وهجانا
فالله قد كنى أبا لهب وما ... كناه الا خزية وهوانا

﴿ ومن قوله في الزهد ﴾

ثلاث وستون قد حزتها ... فماذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب ... فما ترعوى بل وما تزدجر
تمر لياليك مرا حثيثا ... وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي ... من العمر ما اعتضت خيرا بشر
فمالك لا تستعد اذاً ... لدار المقام ودار المقر
أترغب في جنة الخلود(؟) ... وتعلم ان ليس منها وزر
فاما الى جنة أزلفت ... واما الى سقر يستعر

استسقاء القاضي بالناس مع الخليفة

وقحط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر لدين الله أمير المؤمنين فأمر

القاضي منذر بن سعيد بالبروز الى الاستسقاء فتأهب لذلك وصام بين يديه ثلاثة أيام تنفلا وانابة واستخداء ورهبة ، واجتمع الناس له في مصلى قرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم ، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانع القصر المشرفة ليشرك الناس في الدعاء الى الله تعالى والضراعة — فلما سرح طرفه في ملاء الناس وقد شخصوا اليه بأبصارهم قال :

يا أيها الناس — وكررها مشيرا بيده في نواحيهم — ثم قال (سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم — أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد • ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد • وما ذلك على الله بعزيز) فضج الناس بالدعاء وارتفعت الاصوات بالاستغفار والتضرع الى الله تعالى بالسؤال والرغبة في ارسال الغيث ، ووصل الحال[1] ومضى على تمام خطبته ففزع النفوس بوعظه ، وانبعث الاخلاص بتذكيره ، فما أتم [illegible]

وذكروا ان [illegible] الناصر لدين الله جاءه [illegible] اليوم ، فحركه للخروج وذكر له عزمه عليه ، والسابقون يتسابقون الى المصلى ، فقال للرسول — وكان من خواص خلفاء الصقالبة : ياليت شعري ! ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا ؟ فقال له ما رأينا قط أخشع منه في يومنا هذا ، انه لمنتبذ حائر منفرد بنفسه لابس أخشن الثياب ، مفترش التراب ، قد رمى به على رأسه وعلى لحيته ، وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول : هذه ناصيتي بيدك ، أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني ؟[2] قال فتهلل وجه القاضي منذر بن سعيد عند ما سمع من قوله ، وقال يا غلام : احمل الممطر[3] معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا ، اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء ، وكان كما قال فلم ينصرف الا عن السقيا

---

(١) لعل الاصل : ووصل الكلام (٢) إنما لم يقل وانت أرحم الراحمين مع كونه المناسب لمقام الاستسقاء ، لأن مراده أتعذب الرعية بذنبي اذ انا حاكمهم ، وانت الحاكم علي وعليهم ، لو شئت ان تعاقبني على ذنوبي فيهم لفعلت ، واذ عاملتني بالرحمة والفضل فالرعية أولى بذلك . هذا مراده قطعا

(٣) الممطر الثوب الذي يتقى به المطر

استقلال القضاء وإيثار القاضي مصلحة اليتيم على رغبة الخليفة

قال وكان القاضي منذر بن سعيد من ذوي الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته، وقوة القلب في القيام بالحق في جميع ما يجرى على يديه، لا يهاب في ذلك الامير الاعظم فمن دونه. ومن مشهور ماجرى له في ذلك قصته المشهورة في أيتام أخي نجدة، حدثني بها جماعة من أهل العلم والرواية. وهي ان الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج الى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه، فوقع استحسانه على دار كانت لاولاد زكريا أخي نجدة كانت بقرب الشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أيتاما في حجر القاضي، فأرسل الخليفة [illegible] من قيمتها بعدد ماطابت به نفسه، وأرسل ناسا وأمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم، فذكر انه لا يجوز الا بأمر القاضي، اذ لم يجز بيع الأصل الا [illegible] الخليفة الى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله [illegible] لا [illegible] الا لوجوه — منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد(١) ومنها الغبطة(٢) فأما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام الى البيع، واما الوهي فليس فيها ، وأما الغبطة فهذا مكانها ، فان أعطاهم أمير المؤمنين فيها مايتبين به الغبطة، أمرت وصيهم بالبيع والافلا. فنقل جوابه هذا الى الخليفة فاظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن تتراخى رغبته فيها ، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الاولاد سورتها ، فامر وصي الايتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك ، وباع الانقاض وكانت لها قيمة با كثر مما قومت به للسلطان ، فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها ، فأحال الوصي على القاضي انه أمره بذلك ، فارسل عند ذلك القاضي وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة ؟ فقال له نعم، قال له وما دعاك الى ذلك؟ قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم

(١) الضعف كأن تكون الدار متداعية (٢) الغبطة تحقق ما فيه مصلحة الايتام وهو الزيادة على ثمن المثل

ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فمقوّمك لم يقدرها الا بكذا وبذلك تملق وعمك فقد نص في أنقاضها أكثر من ذلك[1] وبقيت الدار والحمام فضلا . ونظر الله تعالى للايتام . فصبر الخليفة على ماأتى من ذلك ، وقال نحن أول من انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن امانتك خيرا

الوقار والديانة مع الظرف والدعابة

قال وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من لايعرفه حتى اذا رام أن يصيب من دينه ثمرة ثار عليه ثورة الاسد الضاري

فمن ذلك ماحدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم مع أبينا للافطار بداره البرانية فاذا بسائل يقول ياأهل هذه الدار الصالحين أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ، وأكثر من ذلك . فقال القاضي ان استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد

وحكى عنه قاسم بن أحمد [illegible] بأرض مجنبة في ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة [illegible] على فرس تقفوه وهو أمامنا وأمامه امامه يحملون خرائطه[2] وعلى ذويه السكينة والوقار . وكانت القضاة حينئذ لاتراكب ولا تماشى[3] فعرض له في بعض الطريق كلاب متوحمة وهي تلعق منها وتدور حوله ، فوقف وصرف وجهه الينا وقال : ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب بالمتن الذي تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك !! ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقينا متعجبين من هزله

وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة

---

(١) يريد ان الذي قوم الدار للخليفة حاباه وهو يتوهم أنه قومها بما تساوي مع أن ثمن انقاضها وحده قد زاد على ذلك ، وهو يريد أكثر مما تساوي لمصلحة الايتام
(٢) لعل أصله : وأمامه خدمه الخ والخرائط أوعية من الجلد أو غيره لها عرى تشد وتربط على مايوضع فيه من المتاع واحدها خريطة
(٣) أي كانوا يتقدمون الناس فلا يركب ولا يمشي معهم أحد مساويا لهم

ماء طافحة ، وسط روضة نافحة ، في يوم شديد الوهج، وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة، فشكا الى الخليفة من وهج الحر الجيد ، وبث منه ماتجاوز الحد ، فامره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه، ففعل ولم يطق ذلك مابه،فقال له : الصواب ان تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك ، ولم يكن مع الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلي أمينه والحكم لارابع لهم ، فكانه استحيا من ذلك ، وانقبض عنه وقارا ، واقصر عنه إقصارا ، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه بالنزول في الصهريج ليسهل الأمر فيه على القاضي ، فبادر جعفر لذلك وألقى بنفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة ، فجعل يجول يمينا وشمالا، فلم يسع القاضي الا انفاذ أمر الخليفة فقام وألقى بنفسه خلف جعفر، ولاذ بالقعود في درج الصهريج ، وتدرج فيه بعض تدريج ، ولم ينبسط في السباحة ، وجعفر ع[illegible] معتمدا ومصوبا، فدسه الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم — فهو معجزه في إخلاده الى القعود، ويعابثه بإلقاء الماء عليه ، والاشارة [illegible] ولا فارق موضعه ، الى ان كلمه الحكم وقال له مالك لاتساعد الحاجب في فعله وتشاركه معه ، وتقبل صنعه ، فمن أجلك نزل ، وبسببك تبذل ؟ فقال له ياسيدي ياأمير المؤمنين الحاجب سلمه الله لا هوجل[1] معه وانا بهذا الهوجل الذي معي يعقلني ويمنعني من أن أجول معه مجاله. فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه بجعفر، وخجل جعفر من قوله وسبه سب الاشراف . وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع وصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما

وذكر ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني انك لاتجتهد للايتام وانك تقدم لهم أوصياء سوء يأكلون أموالهم. قال نعم وان أمكنهم . . .أمهاتهم لم يعفوا عنهن؟

(١) الهوجل الانجر الثقيل الذي ترمى به السفينة ، وفي العبارة من حسن الاستعارة ونزاهة التعريض ماترى ، هذا وقد خجل منه الحاجب وغضب حتى انطلق بتلك لسانه أن سب القاضي والاشراف على مسمع من الخليفة ! وناهيك بهذا برهانا على نزاهة حاشية الخليفة وبعدهم عن المجون والخلاعة ، وعلى دقة ذلك الاعجمي الاصل في فهم اللغة العربية .

قال وكيف تقدم مثل هؤلاء . قال لست أجد غيرهم ولكن احلني على الهوثي وأبي ابراهيم ومثل هؤلاء . فان أبوا جبرتهم بالسوط والسجن ثم لاتسمع الا خيرا

انكار القاضي على الخليفة وانصاف الناصر وقوة دينه

ومن اخبار منذر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن في انكاره عليه الاسراف في البناء — ان عبد الرحمن كان قد اتخذ الى السطح القبة الصغرى التي كانت مائلة الى الصرح الممرد المعروف بقصر الزهراء المشهور بان له قرامد ذهب وفضة أنفق عليها مالا جسيما وجعل سقفها صفراء فاقعة ، الى بيضاء ناصعة ، تسلب الابصار بمطارح أنوارها المشعشعة ، وجعل فيها إثر إتمامها لاهل مملكته مشهدا فقال لقرابته ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع مايتصل به من البدائع الفائتة : هل رأيتم قبلي أو سمعتم من فعل مثل فعلي هذا أو قدر عليه ؟ فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين ، انك لأوحد في شأنك كله ، ولا سبقك في مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى الينا خبره ، فأبهجه قولهم

وبينا هو كذلك ضاحك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكسا ذقنه ، فلما أخذ مجلسه قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف واقتداره على ابداعه ، فجرت دموع القاضي تنحدر على لحيته ، وقال والله يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكين ، مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين ، حتى أنزلك منازل الكافرين !! قال فاقشعر عبد الرحمن من قوله ، وقال انظر ما تقول ! كيف أنزلني منازلهم ؟ قال نعم أليس الله تبارك وتعالى يقول (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون) قال فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيته خشوعا لله تبارك وتعالى ، وندما اليه ، ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى يا قاضي خيرا عنا وعن المسلمين والدين . وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو والله الحق . وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قرامدها ترابا اهـ

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية (*)

٤

الكلمات المبدوءة بهذا الحرف وهو نسر يقرأ ألفا أو كسرة أو همزة أو واوا وهذا الاخير نادر

ابَّ — أبًا وأبابَةً وأبابًا : اشتاق الى الشيء. قالوا « أبَّ لِبِّي لِكِ » أي اشتاق قلبي الى رؤيتك (قرطاس رند لوحة ١٢ سطر ٢٢) ومنها

ابابة — قصد

أبَخ — يقابلها في العربية عَبِقَ لأن الخاء تنوب عن القاف والكاف ، فيقولون خَبُّ وكَبُّ لكف اليد ، عبق المكان بالطيب انتشرت رائحته فيه ، فيقال في المصرية « أبخ [illegible] » أي عبق وانتشر كل مايشم من الروائح الطيبة . عبق به [illegible] وقالوا «عبق المعبود [illegible] في حدثك» أي لحك . و «عبقت الشاة بالشاة» أي التصقت والتحمت (عن حجر الملك بمنخي الزنجي) وعبق بالمكان : أقام ، نحو قولهم «عبق الأرضان في عيشة الملك السليمة» أي بقي القطران وهما الوجه القبلي والبحري في عيشة راضية

أبَخ — يقابلها في العربية أَبِقَ : هرب ، قالوا «تأبِقُ مُطوِّل الرَّتوة» أي تأبق حال كونك مطولا الخطوة في سيرك (عن نقوش الملك تيتي)

آبدة — ج أوابد وهي الطير المقيمة بأرض شتاها وصيفها ، يكثر

(*) مختارات من معجم أحمد كمال بك الأثري المصري للغة المصرية القديمة فيما وافقت فيه اللغة العربية بالنص أو بضرب من القلب والابدال، فالكلمة الأولى من هذه الكلم المرتبة على حروف المعجم هي المستعملة في النصوص المصرية القديمة مما هو عربي فان كان فيه قلب أو إبدال يذكر بعده الأصل العربي ، وما بعد النقطتين هكذا : تفسير لما قبلهما

ذكرها في النصوص المصرية ولا سيما فيما كان على صفائح القبور . ومنه قولهم «آبدة دئيصة» أي سمينة، و «آبدة مائية» والاثريون يصرفونها إلى جماعة الطير اذ وجد بجانبها رسم طيور متنوعة اتباعا لقاعدة الخط عندهم ، لأن كل اسم جنس يرسم بعده بعض أنواعه للدلالة عليه، مثال ذلك كلمة حَنْس – وأصلها في المصرية حت لأن التاء تنوب عن السين – واحدته حَنْسَة اسم لدواب البحر ، فتراهم يرسمون بعده ثلاث سمكات متنوعة ، كما أنهم يرسمون بعد كلمة «أعضاء» بعض أجزاء الجسم . وبعد كلمة «كراع» – وهو السلاح في اللغتين – بعض أنواع الاسلحة وهلم جرًّا

آبِيٌ – قيل عنه في كتب اللغة العربية انه اسم للأسد، وصوابه النمر لوجود صورة هذا الحيوان مرسومة بعد الكلمة في النصوص المصرية

اتا – عتا عتوا: استكبر وجاوز الحد

اتٌ – وبالعربية أتٌ أثاثا وأثوثا وأثاثة : التف وكثر . ويقال لها بالقبطية أثا

إتفٌ – وبالعربية عطاف ج عُطُف وأعطفة : السيف (عن العدد ١٣٧٧ من الجزء الأول من كتاب الجغرافية)

اجاب – وبالقبطية أجْبْ – وجب وجوبا : سقط ومات ، وأصل الوجوب السقوط والوقوع . والوجبة السقطة

اجاب – اجابة وجاب جوابا : رد الجواب (عن لوح قبر موجود في متحف مدينة مترنيخ)

اجر – وأجراء وأجرية واحده جروٌ – وهو ولد الكلب

إجَّانة – ج أجاجين هو مركن من خشب ، ومنه قولهم « إجَّانة

ماء نخمد اللوبَ » أي الظمأ (عن قرطاس بريس اللوحة ١ والسطر ٥)

آخَ .أش — مقلوبة ومحرفة عن شيء بالعربية (عن قاموس بروكش الجزء ١١ والصفحة ١١٧ والجزء الخامس الصفحة ١٢) وفي الغالب يقولون : خ — أو — ش بالامالة بمعنى شيء

اخَ — وفي العربية آق عليهم أوقاً : أتاهم بالشؤم فيقولون « ممتَ (أي العدل) يؤخ عليك لو مشى عن سأوه»[1] والمعنى: لو حاد العدل عن وطنه لآق عليك أي لأتاك بالشؤم (عن شكاية الفلاح الصحيفة ٩٢)

اخط — وفي العربية خطا خطوا واختطى (عن قرطاس في متحف فينا)

أخط — ويقابله في العربية خط خطاً : رسم . وخط : كتب ويقال بالمصرية خط أيضا وهو الأكثر في آثارهم[2]

أخُف — قفة بطعام، ومقابلها كفة بكفّ

أدأبهُ — لغة في أثابهُ : أغضبه (عن ورقة بريس اللوحة ٦ والسطر ١)

أدّ — الرجل في الارض أدّاً : ذهب وسار سيرا شديدا (عن رحلة أسنوهيت الصحيفة ٤٤)

أذا — ايذاء : أضرّ (عن ورقة بريس اللوحة ٦ والسطر ١)

أرُ — ألو: البعيدة المرعى . ويقال انها عين واحد الوليَين وهو اسم لأعلى الجنة ، وفي المصرية تكتب بالراء وباللام (عن نقوش هرم أناس السطر ٥٨٨)

---

(١) المنار : في هذه الجملة المصرية ثلاث كلمات عربية وهي يؤخ الحرف عن يؤق ومشى والساو وهو الوطن (٢) علم من هذه الأمثلة ومما سيأتي ان معتل العين أو اللام وكذا الفاء أو المضاعف بالعربية يقلب حرف العلة أو المضاعفة فيه بالمصرية همزة وينقل الى الفاء ان لم يكن هو الفاء

اوجا — أرجاء جمع رجا وهو الجانب والناحية ، وبالقبطية أفريجو (راجع قاموس بيه الصحيفة ٣ نقلا عن كتاب ريس)

أرض — ج أرضون وأروض وأراض

أرَف — (وتكتب عند المصريين بالعين أيضا لأن الالف عندهم تنوب عن العين) عرّف يقال أرّف الحبل أي عقده . ويقرب منها في العربية أرّب العقدة : شدها لان الباء تنوب عن الفاء. ويقابلها في القبطية أرْفُ . أرْبْ (عن نقوش متوحتيب)

اراق — ورَق : أسال وأهرق

اسد — ويقابلها في العربية وأد — فهي مقلوبة وسينها زاي — وأدًا وزؤدا : أفزع (عن نقوش هرم [illegible] السطر ٣٧٨) ويقابلها في اللغتين شئف وجأف : خاف . وهاذ في الشيء هذا أفزع وأكرب . وحذر : أرهب . كلها ألفاظ عربية ومصرية

أسْ — هي مقلوب ساه سأوا : عدا . وسأي يسأي سأيا : عدا في المشي (عن نقوش هرم بيي السطر ٢٩٦)

أسْ — أسًا : سلح (عن قرطاس برلين الطبي ٢٠١٩) وسلَحَ أيضا كلمة مصرية وعربية كالفاظ أخرى بمعناها

أيسْ — : خرثي الدار أي متاعه (عن نقوش إدفو)

آشى — أوشى المكان : ظهر فيه وشيٌ من النبات

أشى — وبالعربية عشا وعسى الليل : أظلم واغشى يغشي : اظلم

أصبَ — وبالعربية عصَبَ عصبًا : احمرّ في النار (عن كتاب الموتى)

اطاب — للضيف إطابة : قدم له طعاما طيبا (قاموس ليفي الجزء ٨ ص ١٢)

إطل — وإطال . وايطَل : الخاصرة ، الجنب . قال امرؤ القيس في وصف ناقته * لها أيطلا ظبي وساقا نعامة *

افا — مقصور . وبالعربية فاء فيئا : اخذ الغنيمة واقتسمها (عن جريدة السبتشرفت لسنة ١٨٧٢ ص ٢٥)

أفت — أيت الشمس وآفت لغة في غابت (عن قاموس بروكش الجزء ١٠ ص ٧)

أف — أوفا : اضر واقسد

أفة — كثير الاكل [illegible] والفوه النهم الذي لا يشبع، واستفاه الرجل اشتد اكله [illegible] في الطعام والشراب (راجع قرطاس بريس اللوح ١ ص ٨)

أقح — وبالعربية اوكح : حفر (عن قرطاس ايرس الطبي عدد ٢

اكي — حجر لاصدع فيه

اقس — عكس. قلبت عينه همزة ونخمت كافه فصارت قافا. يقال بالعربية عكس البعير اذا شد حبلا في خطمه الى رسغ يده ليذل . وعكس الخيل اقدعها (عن تابوت سيتي المحفوظ بمتحف لندرة)

أقّ — عجّ . يقال : عجت المراة صبيها عجا لغة في عجنه عجواء اي اسقته اللبن. ورسم بعد الكلمة امراة ترضع ابنها

اكَنّ — الشيء — وكنه كنا وكنونا وكننه : ستره في كنه وغطاه وأخفاه وصانه . واكتني : استتر (عن نقوش الملك ببي الأول السطر

١٤٦) ومنها الكِنّ وجمعه أكنان وأكنة

أَكْ ـ : ضاق صدره ؛ ومنه قولهم « أكْ لِبُّه وخس حزمه » أي ضاق صدره ونقص لحمه (عن ورقة بريس اللوحة ٨ والسطر ١٢)

ألِب ـ ولبْ لَبًّا أقام (عن ص ٤٣ من رحلة سنوهيت للماسبرو)

أَلَقَ ـ وتألق : لمع وفي المصرية تكتب بالراء أيضا (عن جريدة مجموعة أعمال الماديات جزء ٥ صحيفة ٩٤)

أَلِيكَة ـ وبالقبطية أليكو وبالعربية عليق عُلّيق : نبت يتعلق بالشجر (عن القرطاس الثاني السحري)

ألّ ـ أَلَّهُ ألاً : طعنه بالإِلّة اي الحربة (عن قرطاس اسوريس بمتحف فينا)

أمَا ـ (بين القوم) : أفسد ، مقلوب ماي مايًا وماوا (واوي يائي بالعربية) (عن رحلة سنوهيت السطر ١ من الصفحة ٢ لماسبرو)

امرْ ـ الشيء : شده بالمرار وهو الحبل . وبالقبطية مُورْ

أماه ـ ماه الشيء وأماهه : خلطه، كلمة تذكر كثيرا في قراطيس الطب القديمة فيقولون : « يُمْحَز ويماه في المروخ » أي يُسحن في الهاون[1]

أمِي ـ عمي يعمى : ذهب بصره كله من عينيه ، قلبت العين همزة

أَنْأى ـ إناءَة أبعد (عن القرطاس السحري السطر ٧ من ظهره)

أنأى ونأى وانتأى ـ حفر أو عمل النؤيا أي الحفرة (عن نقوش مقبرة في الكاب)

(١) محز الشيء دقه بالمحاز وهو الهاون، والمروخ (كصبور) مايمرخ به البدن من دهن وغيره

أهد ـ وفي العربية هود تهويدا : رجع الصوت في لين . وغنّى (عن تتمة قاموس ليفي ج ٢)

أهدـ وفي العربية هدّ البناءهدًّا وهدودا : هدمه. ويقال هدته المصيبة أي أوهنت ركنه (عن كتاب نافيل في ابادة الجنس البشري بالشمس)

اهط ـ وهط وفي العربية وهط : الارض المطمئنة التي تزرع . (عن نقوش معبد دندره)

أهّ ـ أهًّا وآهة : توجع (عن نقوش دندرة وقرطاس بريس — السطر ١ من اللوح ١٥)

اوقم ـ وقم الرجل ووكمه: قهره واذله وحزنه أشد الحزن فهو موقوم. ووكم له: اغتم وحزن (عن [illegible] ١٨٧٨ الصفحة ٤٩)

ومنه قولهم « أقوال موكمة [illegible] »(1)

آوى ـ (المنزل أو الى المنزل) وغيره أويًّا نزل به وبلجأ اليه . وتأوّى: اجتمع (عن قرطاس برلين اللوح ١ $\frac{10}{16}$)

إي ـ حرف جواب بمعنى نعم (يقع قبل القسم في العربية) ويقابله في اللغة العامية (ايوَ)

أتيا ـ تأيا (المتعدي بعلى) : انصرف في تُؤدة (عن نقوش الملك مرنوع السطر ٧٤٨)

أيّل ـ وأيْل: الايل (وبالقبطية ايول) وهو الحيوان المعروف الذي يشبه الوعل

(1) سخت معبودة من معبوداتهم

الخطب الدينية

اشتغالنا بإنقادها وإصلاحها

قد كان مما وفقنا الله تعالى له في أثناء الاشتغال بطلب العلم انتقاد خطباء المساجد ودواوينهم التي يحفظون خطبها ويقرؤنها على المنابر غيبًا أو في الاوراق المخطوطة او المطبوعة، فان كل هذه الخطب أو جلها في ذم الدنيا والترهيد فيها والتذكير بالموت ومدح الشهور والمواسم حتى المبتدعة منها، واكثر مافيها من الاحاديث ضعيف أو موضوع، وقد عقدت في كتاب (الحكمة الشرعية) الذي ألفته في ذلك العهد فصلا طويلا في الخطابة بينت فيه حكمتها ومنفعتها وكيفية تحصيل ملكة الارتجال فيها، وما ينبغي أن تشتمل عليه الخطب الدينية في المساجد، وأنشأت عدة خطب خرجت فيها من المضيق الذي حبس خطباؤنا فيه أنفسهم، واخترت لاحد الخطباء أحاديث صحيحة وحسنة لديوان أنشأه عزوتها الى مخرجيها فكان أول خطيب سمعناه في بلادنا يلتزم الاحاديث الصحيحة والحسنة في خطبه معزوة الى مخرجيها، على ان التزام الاحاديث في آخر الخطبة غير واجب ولا مسنون، بل هو عادة ينبغي تركها احيانًا لئلا يظن أنها مشروعة فيكون الالتزام من البدع التي سماها صاحب الاعتصام البدع الاضافية

ثم انا بعد انشاء المنار بحثنا فيه بهذه المسألة مرارا، واتفق لنا أن خطبنا في بعض المساجد خطبا مرتجلة مناسبة لحال عصرنا موافقة لما كان عليه سلفنا الصالح فكان هذا وذاك باعثا لكثير من محبي الاصلاح

على مطالبتنا بانشاء خطب اصلاحية تنشر في المنار عسى أن يقتبسها أو يقتبس منها الخطباء، فلم نجبهم الى ذلك لاعتقادنا ان الغرض منه لا يتم الا اذا جاء من جانب السلطة الرسمية

مثال ذلك أننا أنشأنا خطبة في الاقتصاد في المال وقضاء الدين اقترحها علينا الشيخ علي يوسف وأخذها منا . ثم علمنا انها نشرت في القطر بأمر الحكومة بعد استحسان شيخ الازهر وإجازته .

وكنا قد مهدنا السبيل الى مثل ذلك في ديوان الاوقاف ولكن علمنا أنه لا ينفذ الا اذا اقتنع به الامير واحب تنفيذه، فكنا ننتظر الفرصة لعرض ذلك عليه واقناعه به ولم تسنح لنا، ثم شرعنا فيما هو خير من ذلك انشاء مدرسة الدعوة والارشاد التي يتربى فيها الخطباء المرتجلون، ولا بد أن يتم في هذه السبيل من تمهيد العقبات، ومكافحة الحساد واعداء الاصلاح، ما نرجو أن ينتصر فيه الحق على الباطل والاخلاص على النفاق.

ديوان خطب المصلح القاسمي

اطلعنا في هذه الايام على ديوان خطب عالم الشام صديقنا المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي تغمده الله تعالى برحمته، وكان أهدي الينا مطبوعاً منذ اعوام فلم يتح لنا التأمل فيه، فرأيناه أفضل ما نشر من دواوين الخطب، بخلوه من البدع والخرافات، ومن الاحاديث الواهية والموضوعات، واشتماله على الموعظة الحسنة التي يحتاج الناس اليها في جميع الاوقات، ولو كان للخطابة والتأليف حرية في بلاد الشام ايام انشائه رحمه الله تعالى لتلك الخطب لأودعها كثيراً من المسائل الاجتماعية والادبية

التي اشتدت الحاجة اليها في هـذا العصر ، وقد رأينا أن نقتبس بعض مقدمات هذا الديوان النفيس وخطبه فيما يلي فاكها بنصها :

« المقدمة الاولى في الهدي النبوي في الخطبة »

قال الامام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هدي خير العباد في هديه صلى الله عليه وسلم في خطبه : كان صلوات الله عليه اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش . وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر ويقصد الكلمات الجوامع . وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الاسلام وشرائعه. ويأمرهم وينهاهم في خطبته اذا عرض له أمر أو نهي . وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته، فاذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها . وكان يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فاذا اجتمعوا خرج اليهم . فاذا دخل المسجد سلم عليهم . فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ثم يجلس ويأخذ بلال رضي الله عنه في الاذان، فاذا فرغ منه قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب، وكان في الجمعة يعتمد على عصا أو قوس ، وكان منبره صلوات الله عليه ثلاث درجات، وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالانصات . وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة دخل الى منزله فصلى ركعتين، وفي رواية كان اذا صلى في المسجد صلى أربعا وان صلى في بيته صلى ركعتين. انتهى ملخصا

« الثانية في سنن الخطبة »

قال الامام النووي في الروضة في سنن الخطبة : منها أن تكون على منبر. والسنة أن يكون المنبر على يمين الموضع الذي يصلي فيه الامام . ويكره المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين اذا لم يكن المسجد متسع الخطة، فان لم يكن منبر خطب على موضع مرتفع، ومنها أن يسلم على من عند المنبر اذا انتهى اليه. ومنها اذا بلغ في صعوده الدرجة التي تلي موضع القعود أقبل على الناس بوجهه وسلم عليهم . ومنها أن يجلس بعد السلام . ومنها انه اذا جلس اشتغل المؤذن بالاذان، ويديم الجلوس الى فراغ المؤذن. ومنها أن تكون الخطبة بليغة غير مؤلفة من الكلمات المبتذلة ولا من الكلمات

الوحشية بل قريبة من الافهام . ومنها أن لا يطولها ولا يمحقها بل تكون متوسطة . ومنها أن يستدبر القبلة ويستقبل الناس في خطبته ولا يلتفت يمينا ولا شمالا . ومنها انه يستحب أن يكون جلوسه بين الخطبتين قدر سورة الاخلاص . ومنها أن يعتمد على عصا أو نحوه . ومنها أنه ينبغي للقوم أن يقبلوا على الخطيب مستمعين لا يشتغلون بشيء آخر حتى يكره الشرب للتلذذ ولا بأس به للعطش لا للخطيب ولا القوم . ومنها أن يأخذ في النزول بعد الفراغ و يأخذ المؤذن في الاقامة ويبتدر ليبلغ المحراب مع فراغ المقيم . اه

« الثالثة فيما يكره في الخطبة وفروع أخرى »

قال الامام النووي رحمه الله في الروضة . يكره في الخطبة أمور ابتدعها الجهلة منها التفاتهم في الخطبة الثانية . والدق على درج المنبر في صعوده . والدعاء اذا انتهى صعوده قبل أن يجلس . ومنها مبالغتهم في الاسراع في الخطبة الثانية . ويستحب اذا كان المنبر واسعا أن يقف على يمينه ويكره للخطيب أن يشير بيده . ويستحب أن يختم الخطبة بقوله أستغفر الله لي ولكم . وذكر بعضهم انه يستحب للخطيب اذا وصل المنبر ان يصلي تحية المسجد ثم يصعد ، وهو قول غريب وشاذ مردود . فانه خلاف ظاهر المنقول عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فمن بعدهم ، ولو أغمي على الخطيب فهل يبني غيره على خطبته أو يستأنفها ؟ قولان . اه ملخصا

ويكره أن يتخطى المصلي رقاب الناس لما فيه من سوء الادب والاذى . ويحرم الكلام في الخطبتين والامام يخطب ، وله الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعها ويسن سرا ، ويجوز تأمينه على الدعاء . ورفع الصوت قدام بعض الخطباء مكروه اتفاقا . كذا في الاقناع [1]

---

(١) المنار : لأهل هذا العصر بدع ومنكرات أخرى كثيرة قبل الخطبة وبعدها وفي أثنائها ، بعضها من البدع الحقيقية وبعضها من الاضافية ، فنها التزام ذكر الخطباء الملوك والسلاطين في الخطبة الثانية بالتعظيم ورفع المؤذنين أصواتهم بالدعاء لهم وإطالتهم في ذلك والخطيب مسترسل في خطبته وفي ذلك عدة منكرات =

الرابعـة (حكم تعدد الجمعة)

الحاجة في هذه البـلاد في هذه الاوقات تدعو الى أكثر من جمعة اذ ليس للناس جامع واحد يسعهم ولا يمكنهم جمعة واحدة أصلا الا أن خروجها الى حد أن لافرق بينها وبين بقية الصلوات في كثير من المساجد الصغيرة التي لم تشيد لمثلها قد هوّل فيه السبكي في فتاويه لانه مما تأباه مشروعيتها وما مضى عليه عمل القرون الثلاثة بل وتسميتها جمعة فان صيغة فُعُلة في اللغة للمبالغة وبالجملة فالجوامع الكبار التي تؤمها الافواج يوم الجمعة ويحتاج لاقامتها فيما حاجة بينة لمجاوريها ، هي التي لاخلاف في جوازها مهما تعددت ، والتي لاتعاد الظهر بعدها ، كما أشار له العلامة البجيرمي رحمه الله تعالى ، وقد بسطناه في كتابنا [اصلاح المساجد من البدع والعوائد]

الخامسـة مايسن يوم الجمعة

يسن تنظيف يوم الجمعة وتطيب ولبس أحسن الثياب واكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ، والمنة باقتفاء هديه وسنته ، والصلاح الأعظم [illegible] ومكارم الاخلاق بحكمته ، وسعادة الدارين بدعوته ، صلى الله عليه وعلى آله ما ذاق عارف سر شريعته ، وأشرق ضياء الحق على بصيرته ، فسعد في دنياه وآخرته . آمين

﴿ طلائع الخطب النبوية ﴾

١

انّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله — رواه الامام أحمد ومسلم عن ابن عباس

= مبتدعة ، ومنها ان بعض الحاضرين يقومون في أثناء الخطبة الثانية فيصلون ، ومنها الدعاء برفع الايدي بين الخطبتين والاستمرار على ذلك بعد شروع الخطيب في الخطبة الثانية ، ومنها صياح بعضهم في أثناء الخطبة باسم الله أو أسماء بعض الصالحين ، ومنها المصافحة عقب السلام من الصلاة — الى غير ذلك

٢

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونستهديه ونستنصره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى حتى يفيء الى أمر الله — رواه الشافعي والبيهقي عن ابن عباس —

٣

انّ الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا (اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، ان الله كان عليكم رقيبا ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ الا وأنتم مسلمون ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) ـ رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن مسعود —

السيد محمد شفيع آل رضا

في ضحوة يوم الاثنين أول أيام العشر الاخير من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٣ هجرية قمرية ـ وأواخر العشر الأول من شهر الصيف الاول (الفرجة التاسعة من برج الاسد) سنة ١٢٩٣ هجرية شمسية ـ الموافق لليوم الثاني من شهر يوليو (تموز) ١٩١٥ مسيحية ـ وهب الله تعالى لصاحب هذه المجلة غلاما سويا أطلق عليه اسم (محمد شفيع)

ولد محمد شفيع تام البنية ، ممتلئ الجسم ، أبيض اللون مشوبا بصفرة كما هي العادة ، أحم الشعر ، أسود العينين الى الزرقة ، بارز الجبهة ، طويل القرة ، رافعا أصبعه السبابة ، ولم يلبث أن رضعها ، ولم ينقض الاسبوع الاول الا وقد تبدلت الصفرة حمرة فصار أزهر اللون .

فالله أسأل أن ينبته نباتا حسنا ، و يوفقنا لتربيته تربية صالحة ، و يجعله قرة عين لوالديه وآل بيته وأمته ، و يستجيب لنا به و بغيره ، ما دعوناه وندعوه به من أدعية كتابه (ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين إماما)